وزارة التـــعليـــم العـــالي والبحـــث العلمـــي

جامـــعـــة محـــمد خيضـــــر –بسكـــرة-

كليـــة العلوم الإنسانية و الاجتماعيـة

قسم التاريخ

شعبة تاريخ معاصر

التعذيب أثناء الثورة الجزائرية من خلال منظور فرانس فانون

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

في التاريخ المعاصر

-إعداد الطالب :

* بسكري نعيمة

-إشراف الأستاذة :

*د. بوقريوة لمياء

السنة الجامعية : 2012 / 2013

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى كل من ضحى بالنفس و النفيس ، إلى أولائك الذين جعلوا الحرية أول مبتغى و آخر مطمح ،

إلى اللذين عانوا الويلات في السجون و المعتقلات، إلى كل من حضر الملحمة الجزائرية.

إلى كل الأحرار و إلى كل الأوفياء لهذا البلد العظيم.

إلى كل من أضاءوا دربي بنور العلم .

إلى التي كانت ينبوع العطاء أمي الحبيبة إلى روح والدي الطاهرة طيب الله ثراه.

إلى من مد يد العون إلى الأساتذة الفاضلين : بوقريوة لمياء التي تفضلت بإشرافها على هذا البحث و لم تبخل علي بوقتها و جهدها فجزاه الله عنا كل خير و لها منا كل التقدير و الاحترام

و كل أساتذة شعبة التاريخ و أخص بالذكر :مزهودي مسعود، كمال مسعودي ، بلقاسم ميسوم .

إلى كل الأصدقاء و الزملاء و اخص بالذكر نبيلة قادمي ، طرشي حياة و لكحل عزيزة

و إلى كل الإخوة و أخص بالذكر الأخ العزيز بسكري الحسن متمنية له الشفاء العاجل.

إلى براعم أسرة بسكري : هبة الرحمان ، ياسمين ، إسحاق يوسف ،رفيق عبد الحميد ، رنيم و رفيف .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي .

بسكري نعيمة

شكر و عرفان:

نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ، و مد لي يد العون في انجاز هذا العمل المتواضع ،

مكتبة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، و محافظ المكتبة بلقا سم بوذيبة .

و دار الثقافة بـ بسكرة الشهيد رضا حوحو و كل المساعدين .

و بالخصوص متحف المجاهد العقيد شعبان بـ بسكرة .

فهرس المحتويات

المحتويات	رقم الصفحة
فهرس المحتوى.....	1-2
شكر وعرفان	3-5
المقدمة.....	أ-ج
الفصل الأول (فرانز فانون حياته و أثاره)	10
المبحث الأول: نشأة فرانز فانون ، مسيرته النضالية ووفاته	11
المطلب الأول : مولده و أصله.	13
المطلب الثاني: دراسته ومسيرته النضالية.	14
المطلب الثالث: علاقته بالثورة التحريرية الجزائرية.....	17
المطلب الرابع: وفاة فرانز فانون	21
المبحث الثاني: مآثر فرانز فانون من خلال بعض كتاباته وما قيل عنه.....	23
المطلب الأول: كتابات فرانز فانون.	23
المطلب الثاني: ما قيل عن فرانز فانون.	28
المطلب الثالث: بعض ما كتب فانون في مؤلفاته	31
الفصل الثاني: التعذيب في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية.....	33
المبحث الأول :لمحة عن التعذيب و أساليبه.....	34
المطلب الأول: تعريف التعذيب.....	36
المطلب الثاني : بعض أساليب التعذيب.....	41
المبحث الثاني : مظاهر التعذيب.	46
المطلب الأول : وسائل التعذيب.....	47
المطلب الثاني: أمكان التعذيب.....	53
الفصل الثالث: تحليل مضمون كتاب معذبو الأرض.....	57
المبحث الأول: الكفاح من أجل التحرر	59
المطلب الأول: العنف بالعنف	64
المطلب الثاني: الاتحاد ثمرة التحرر.....	67
المبحث الثاني : حقيقة الاستعمار الفرنسي.....	69
المطلب الأول : التعايش السلمي	70
المطلب الثاني : الحياد.....	72

المبحث الثالث: موقف النخبة و الأحزاب السياسية من الحركة التحررية..... 74
المطلب الأول: النخب المثقفة 74
المطلب الثاني: الأحزاب السياسية..... 75
خاتمة..... 78
المصادر و المراجع 81
الملاحق 88

المقدمة

مقدمة:

كانت ولازالت الجزائر لها الدور البارز في تأطير الفكر وبث روح التحرر من قيود الاستعباد والاستغلال ، فثار أهل العلم و ذوي الألباب للمشاركة في عملية تفجير براكين الغضب على العدو الغاشم الذي استعبد البلاد والعباد ، و أخمد النبوغ في الرؤوس ، و أمات العزة والكرامة في النفوس ، فراحوا يجاهدون بالكلمة الشجاعة يلهبون الحماسة و يضرمون الغضب و يدفعون بالعزائم إلى الأمام في تيار ثوري ، وزحف قوي لم يتوقف حتى النصر النهائي ، الثورة قبل أن تنزل في الميدان بالسلاح ، كانت في أدمغة رجال الفكر ، رجال الكلمة ، هي فكرة و صورة ثم تعبير بكلماتهم الموقظة ، و صيحاتهم المدوية و صرخاتهم و نقدهم لأوضاع الفاسدة لإيقاظ الأمم و إطلاق سراحها من أسراها ، و الثورة ضد الغبن و الظلم و العدوان و الطغيان والجبروت ، ثورتهم ثورة نبل و رحمة و إخاء ، ثورة الروح و الحياة والاستعلاء .

فثورة الجزائر التحريرية كانت إحساسا دفاقا قويا يجري في دماء المفكرين أمثال الغائص في أعماق الثورة الجزائرية المفكر الفرنسي الجنسية والزنجي الأصل " فرانز فانون " ، الذي خلد ثورة الجزائر في أعماله البطولية و التي صورت حقيقة النضال البطولي في الجزائر ، "فرانز فانون" نموذج فريد لأهل الفكر و القلم ، صاغ مشاعره و أحاسيسه اتجاهها بكل فخر و اعتزاز وراحة الضمير و هو يدافع و يجاهد ، لا بالعاطفة و التدعيم المعنوي أو الكتابة فحسب بل بالعمل الميداني الفعلي الذي كان ضد وطنهم الأصلي ، حيث كان من بين المثقفين الفرنسيين الذين يؤمنون بأيديولوجية ما يسمى بدكتاتورية البروليتاريا ، و من بين الذين التزموا بالدفاع عن الشرعية التاريخية للشعب الجزائري فكرا وروحا وعملا الذين اهتموا بثورتنا على الرغم ما يهدد مصالحهم .

من هذا المنطلق وجب علينا أن نبحث عن سر هاته الشخصية المتتبعة لتاريخ الثورة و المسجلة للحقائق التاريخية المستوحاة من التراث الثوري الضخم و حفظها من الاندثار، وكشف الستار عن الحقيقة المهولة التي كانت تختفي ورائه ، هاته التي عجز اللسان عن وصفها على الرغم من كونها لا تمت بالصلة سواء الأصل أو الجنس أو حتى لو البشرة ، و حتى نقتدي بهذه الشخصية التي حملت كل ما يتصل بالثورة الجزائرية على عاتقها ، وتعي الأجيال الحاضرة واللاحقة ، قيمة هاته الثورة وجسامة تضحياتها بعين أخرى ، و بأفكار غير الأفكار المتعارف عليها ، جاءت لتكشف حقيقة الاستعمار للعلن و بشاعة صوره في قالب مخفي يفهمه فقط من عايش الثورة أي استيعاب معانيه يتطلب قراءة ما بين السطور ، و بالتالي نحاول قدر الإمكان من خلال هذا الموضوع الإسهام ولو بجزء يسير التعريف به ، دارسين بذلك شخصيته (الشخصية الثائرة من غير العادة) ، و الأدوار التي لعبها حتى يصل إلى الهدف المنشود وهو الكفاح من اجل التحرير،

غير معير الاهتمام لا إلى الصفة التي تربطه بهذا الشعب و لا إلى الدين الذي يقربه بهم بقوله الشائع : (لوني لون الإنسانية و ديني دين الأخوة) .

دوافع اختيار الموضوع:

الدوافع التي أدت إلى اختياري لهذا الموضوع تكمن فيما يلي :

- دافع شخصي و هو الاهتمام بالشخصيات الغير عربية التي ساندت الثورة الجزائرية ، و الشخصيات التي تأمل في حفظ السلام و الأمن العالمي .
- عدم وجود دراسة تاريخية ذات نسخة عربية مختصة بهاته الشخصية النادرة .
- محاولة فتح المجال لدراسة شخصية فرانز فانون بنظرة أكثر موضوعية و إعطاء حقه في تاريخ الثورة الجزائرية .
- محاولة إيصال نظرة فرانز فانون للتعذيب في الجزائر وكشف حقيقة الاستعمار.

و من أجل ذلك اخترت موضوع مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ معاصر بعنوان : التعذيب في الجزائر أثناء الثورة من خلال منظور "فرانز فانون"

إشكالية الموضوع:

تتجسد إشكالية موضوع بحثنا في محاولة تسليط الضوء على التعذيب أثناء الثورة الجزائرية من خلال وجهة نظر المفكر " فرانز فانون " التي تتنافى و تبتعد كل البعد على القانون الدولي الإنساني و حقوق الإنسان ، و تنبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية :

- من هو "فرانز فانون" ؟
- كيف كانت مسيرته النضالية و علاقته بالثورة الجزائرية ؟
- إلى أي مدى ساهمت أعماله و كتاباته بأن يكون من الشخصيات الفاعلة بمختلف الأحداث السياسية التي عرفتها الثورة الجزائرية ؟
- ما هو التعذيب ؟
- ما هي أساليب التعذيب المطبقة على الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية ؟
- ما هي الطرق التي كانت تستخدم لتعذيب الجزائريين ، وأين كانت تتم ؟
- إلى أي حد وصل كتابه معذبو الأرض إلى إيصال صوت الثورة ومعاناة الشعب الجزائري للعالم ؟ و ما هي طبيعة مطالبه ؟
- ما هو موقف فرانز فانون من أساليب التعذيب الاستعماري ؟ .

منهجية البحث:

و طبيعة هذه الدراسة تتطلب منا اعتماد المنهج التاريخي الوصفي السردي ومنهج تحليل المحتوى.

فالمنهج التاريخي الذي يرتكز على دراسة وتحليل الهدف من التعذيب في إطار السياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة على الشعب الجزائري ، ومعرفة ما إذا كانت فرنسا قد نجحت في تحقيق أهدافها من خلال هاته السياسة المجحفة .

و المنهج الوصفي فيعتمد على وصف الحالة التي عاشتها الجزائر في خضم هاته المناورات وسرد حياة المناضل و المفكر الفرنسي "فرانز فانون" بإلقاء نظرة على مسيرة حياته ونضاله و إسهاماته في الثورة الجزائرية .

أما منهج تحليل المحتوى فقد تطرقنا إلى تحليل محتوى كتاب "فرانز فانون" معذبو الأرض و محاولة إسقاط نظرته على الواقع المعاش بالجزائر على هذا الكتاب .

أهداف البحث:

و تتجلى أهداف البحث فيما يلي :

1- إعطاء نظرة عامة عن السياسة القمعية التي انتهجها فرنسا لتمسك بأرض الجزائر و انتهاج مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة".

2- إبراز احد الشخصيات المعارضة للتعنيف و التعذيب بشتى أنواعه و أشكاله .

3- إلقاء نظرة على كيفية التخلص من الاستعمار من خلال أفكار المفكر "فرانز فانون" في كتابه معذبو الأرض .

خطة البحث :

قسمت موضوع البحث، بعد المقدمة إلى ثلاثة فصول ثم خاتمة ثم ملاحق ذات صلة بالموضوع . ففي المقدمة بينت الأسباب والدوافع التي جعلتني اختار هذا الموضوع ، كما وضحت أهميته ، أما الفصل الأول فتناولت فيه حياة " فرانز فانون " حيث تطرقت إلى مولده وأصله وكيف كانت دراسته ومسيرته النضالية ، معرجة بذلك إلى علاقته بالثورة التحريرية الجزائرية و تقلده عدة مهمات مبينة ذلك ببعض الملاحق ثم ذكرت مصارعته لسرطان الدم و وفاته ، ثم ذكرت في هذا الفصل المآثر التي خلفها فرانز فانون من بعض الكتب و إسهاماته في جريدة المجاهد مستعينة ببعض نسخ لمقالاته التي نشرها في جريدة المجاهد و أحلتها في الملاحق ، إلى بعض ما قيل عنه استنادا إلى ذكر بعض الشخصيات التي واكبت عصره ، و كتابة مقتطفات من ما ألف في كتبه . و الفصل الثاني جاء بعنوان التعذيب في الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية ، فتعرضت في هذا الفصل لمفهوم التعذيب و ذكر بعض الأساليب التي انتهجتها فرنسا

في الجزائر مذ أن وطئت قدماها الجزائر ، إلى ذكر مظاهر و طرق التعذيب و الأماكن المخصصة لممارسة هاته العمليات الشنيعة التي لا يقبلها لا دين ولا عرف و لا قانون ، أما في ما يخص الفصل الثالث ففيه أقدمت على تحليل مضمون كتاب "معذبو الأرض " الذي قسمته إلى ثلاث مباحث و ذلك يرجع الى المادة العلمية التي يحتويها الكتاب فالمبحث الأول جاء بعنوان الكفاح من أجل التحرر الذي يحتوي عل مطلبين نذكر فيهما : العنف بالعنف و الاتحاد ثمرة التحرر هاته السياسة التي في نظر فرانز فانون يقوم بها الشعب المستعمر من أجل التحرر أما المبحث الثاني فجاء بعنوان حقيقة الاستعمار ، الذي يذكر فيه فرانز فانون الاستراتيجيات الجديدة للاستعمار يحوي على مطلبين المطلب الأول بعنوان : التعايش السلمي و المطلب الثاني بعنوان : الحياد ، أما المبحث الثالث و الأخير فكان عنوانه موقف النخبة و الأحزاب السياسية من الحركة التحررية فنرى في هذا المبحث وجهة نظر فرانز فانون التي تدلي بحقيقة هاته النخب التي تندرج ضمن سياسة الاستعمار المنتهجة.

أما خاتمة الرسالة ما أمكنني استخلاصه من النتائج التي تدعمها المصادر المطلع عليها

أما مصادر البحث و مادته التاريخية فأساسها مصدر باللغة الفرنسية (Les damnes la terre) لمؤلفه "فرانز فانون" و كتاب عبد الحميد الحفيري بعنوان فرانز فانون (بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته) و كتاب سليمة الكبير بعنوان (فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية) و تطرقت لكتاب معذبو الأرض ترجمة سامي ألدروبي و جمال أتأسي ، و اعتمدت على مجلة المجاهد كمصدر مهم ورئيسي لما " خلف فرانز فانون " بالإضافة إلى بعض الكتب و المجلات التي أسهمت في إثراء هذا الموضوع .

صعوبات البحث :

لا يفوتني أن أسجل بعض الصعوبات و العوائق التي واجهتني أثناء إعدادي لهذا البحث المتمثلة في:

1- ندرة المراجع و المصادر التي تتناول دراسة شخصية "فرانز فانون" دراسة علمية أكاديمية متخصصة بالعربية .

2- ضيق الوقت خاصة عند تناولي منهج تحليل محتوى كتاب " معذبو الأرض" و صعوبة فهمه و ما يميزه من أسلوب فلسفي حيث التوصل إلى فهم معانيه يستند إلى قراءة ما بين السطور و بأسلوب مخفي يفهمه من عايش الثورة كما قال عنه مؤلفه ، و فهمه يتطلب إلى بالاستناد إلى بعض الأساتذة و بعض المقالات المنشورة على المواقع الإلكترونية .

3- عدم توفر كتب خاصة تحليلية لكتاب "معذبو الأرض " تحليلا دقيقا.

وعلى أية حال فإن هذا المشروع لا ندعي به الكمال ، وإنما يتطلب الاستزادة ونحن مقتنعين باستمرارية البحث، و أن أكون قد فتحت شهية البحث في موضوع خطير يهدد الوجود الاستعماري ، لاكتشاف وثائق أخرى توضح الجوانب الغامضة، وتستكمل الناقص وتصحح المعلومات الخاطئة وتؤكد الصحيح ، وإذا كان له هدف أسمى، فهو إلقاء الضوء على جانب من جوانب من مد يد العون للثورة من قيل في حقه :

" انك مدين للثورة الجزائرية ، أكثر ما هي مدينة لك ".

والله أرجوا، وعليه اعتمد أن ييسر ما قصدت، ويذلل ما أردت ، فإنه إن لم ييسره ، فلا سبيل إلى حصوله ، و إن لم يعن عليه ، فلا طريق إلى نيل العبد مأموله.

والله من وراء القصد .

الفصل الأول

فرانتز فانون (حياته و آثاره)

المبحث الأول: نشأة فرانز فانون ، مسيرته النضالية ووفاته

المطلب الأول : مولده و أصله.

المطلب الثاني: دراسته ومسيرته النضالية.

المطلب الثالث: علاقته بالثورة التحريرية الجزائرية.

المطلب الرابع: وفاة فرانز فانون .

المبحث الثاني: مآثر فرانز فانون من خلال بعض كتاباته وما قيل عنه

المطلب الأول: كتابات فرانز فانون.

المطلب الثاني: ما قيل عن فرانز فانون .

المطلب الثالث: بعض ما كتب فانون في مؤلفاته .

المبحث الأول: نشأة فرانز فانون ، مسيرته النضالية ووفاته

حقيقة لا يمكن إنكارها إن بعض المثقفين الفرنسيين الذين ساندوا نضال الشعب الجزائري من أجل تحقيق الاستقلال و الحرية ، والبعض الآخر لم يكتفوا بعدم المساندة و السكوت و التحفظ بمبادئهم فقط بل أعلنوا عن حقيقة فلسفتهم المتمثلة في العداوة العنصرية ضد حرية الشعب الجزائري ، أما المثقفون الذين يؤمنون بفلسفتهم السياسية فقد التزموا بمبادئهم و دافعو عنها منذ الحرب العالمية حتى الثورة الجزائرية ، منهم من شارك بالكتابة والمساندة المطلقة للشعب غير شعبهم ، و منهم من شارك مشاركة فعلية .[1]

رجل في مظهره هدوء و في داخله غليان مستمر ، أنيق اللباس ، لطيف الحركة لأنه اعتنق الاشتراكية و آمن بها مصيرا أفضل لكل الشعوب ، مثل ما آمن بالوحدة كضامن طريق لشعوب إفريقيا ، مرهف الحساسية ، لكنه مؤمن بضرورة العنف للقضاء على الاستعمار ... قدس المبادئ التي اعتنقها لدرجة إن طبقها في حياته ، ولم يجعلها مجرد نظريات يخلو معها فوق المكتب، طبقها رغم ما تعرضه له من متاعب كان في غنى عنها كطبيب نفسي ناجح و ككاتب شاب لامع أمامه مستقبل مليء بالأضواء و الآمال لكن ذلك الشاب الذي أنشأته ارض "المارتنييك" رفض تزييف شخصيته و رفض أن يعيش في جو مزيف ... قالوا له انك فرنسي لان ارض "المارتنييك" فرنسية ...لكنه عاش في ليون و شاهد الفارق بين فرنسيته وفرنسية الآخرين لم يشاهده في مظهر البشرة المختلف ، و لكنه فيما هو أخطر فيما وراء البشرة من نظرات و سلوك عملي ...هذا الرفض للتزييف ، وهذا الاختيار للطريق الأصعب : طريق الصراحة و النظرة السليمة هو الذي قاده إلى الثورة الجزائرية لأنه فهم بحساسيته المرهفة ، وبتفكيره العميق أن ثورة الجزائر ليست حركة وطنية محلية و لكنها حركة تنتشر أفقيا فتؤيد و تتضامن مع كل ارض بها معركة ضد استعمار و مع كل نفس ترفض الاستعمار و تمتد عموديا بافتخار ب كل رواسب العنصرية والتقدير الرجعي ... لذلك أنرمى فيها من غير تردد و خدمها بقلمه وفكره و نشاطه إلى أقصى نحبه ، خدمها في البليدة ، حيث كان مديرا لمستشفى الأمراض العقلية ، يشتغل مع مناضلي الجبهة في كل المهام التي تفرضها ظروف الكفاح على مناضلي الجبهة من العناية بالجرحى إلى حمل السلاح إلى إيواء القادة أثناء تنقلاتهم ، وخدمها محرر في "المقاومة الجزائرية " ثم في "المجاهد" و خدمها رئيسا بعد الحكومة الجزائرية في

[1] عمراني (عبد المجيد) : النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية 1954-1962 ، ط 1، دار الشهاب ، باتنة ، د.س.ن ، ص70 .

غانا حيث وجد مرتعا خصبا لنشاطه الفياض و تعلقه المتحمس بالوحدة الإفريقية ...وخدمها بما خلده في كتابيه : "العام الخامس للثورة" و "ملاعين الأرض " . [1]

في هذا الفصل نركز على شخصية غاصت في أعماق الثورة الجزائرية و سنحاول معرفة المثقف فرانز فانون الفرنسي الجنسية الذي قطع كل اتصال مع الوطن الأم فرنسا ليكافح في الخطوط الأمامية للجبهة المناهضة للاستعمار . [2]

[1] بول سارتر(جان) : الكادحون في الأرض ، مجلة المجاهد ، العدد 89 ، المصادف ل 1961/12/11، ص3.

[2] الكبير (سليمة) : فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية ، د.ط ، المكتبة الخضراء للنشر و التوزيع ، الجزائر، د.س.ن ، ص 6.

المطلب الأول : مولده و أصله

فرانز فانون نفسانيّ وفيلسوف اجتماعي أسود البشرة ، ولد في 20 جويلية 1925م [1] ، يعتبر مواطن فرنسي من الدرجة الثانية فأصبح فيما بعد كجزائري بالإرادة والاختيار ، في مدينة "فور دي فرانس" عاصمة "المارتنييك" الفرنسية. و من أسرة تتألف من ثمانية أولاد و بنات تمكن خمسة منهم من متابعة دراساتهم العليا في الجامعات الفرنسية في حين كانت غالبية الشعب تعاني من الأمية [2] ، تنتمي عائلته إلى طبقة البرجوازية الزنجية تسمى ب:"أنتلاز" [3] ، التي كانت تحاول الاندماج و الذوبان في المجتمع و الإطار الفرنسي .[4]

كان والده موظفا بالجمارك ، ومنصب"الموظف" في المارتنييك يعتبر وضعا إمتيازيا بالنسبة للعامل الزراعي[5] فانون زنجي من أصل عبيد اختطفوه من أدغال و فيافي إفريقيا و يعود أصله إلى الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى "جزر الأنتيل" من إفريقيا ، و كانت المارتنييك تشكل مع جزر الأنتيل الصغرى ، منطقة تشملها السيطرة الفرنسية منذ القرن السابع عشر، و قد ازدهرت تجارة الرقيق في المنطقة ، لتزويد المعمرين البيض باليد العاملة السوداء التي من واجبها القيام بالأعمال اليدوية في مزارع قصب السكر .[6]

---

[1] Frantz fanon, Les damnes de la terre , Ministère de la culture, Alger, 2009, p8.

[2] الحفيري (عبد الحميد) : فرانز فانون (بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته) ، د. ط ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 ، ص15.

[3] F. fanon ,ibid,p1.

[4] الحفيري : المرجع السابق ، ص 15 .

أنظر ملحق رقم (2) الصفحة 90.

[5] عمراني(عبد المجيد) : جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، د . ط ، مكتبة مدبولي ، باتنة ، الجزائر، د.س.ن ، ص 68.

[6] الكبير : مرجع سابق ، ص9 .

المطلب الثاني: دراسته ومسيرته النضالية

كان فرانز فانون قد أنهى دراسته الابتدائية ، و جزءا من دراسته الثانوية، حين اندلعت الحرب العالمية الثانية لذا فقد سافر عام 1943م إلى "الدومينيك" ، ليلتحق بالقوات الفرنسية الحرة ، إلى جانب الانجليز و الأمريكيين ضد ألمانيا و ايطاليا ، وقد تطوع استجابة منه لنداء الواجب و الضمير باعتباره فرنسيا متجاوزا بذلك كونه زنجيا أسودا ، وقد عاش صراعا مريرا مع الرجل الأبيض .

أرسل بعد تطوعه إلى شمال إفريقيا تحديدا إلى ولاية "بجاية" في عام 1945م ،أصيب بجروح في إحدى المعارك ، و منح وساما لشجاعته ، و عند نهاية الحرب كان موجودا في "ألمانيا" فرجع إلى "المارتنييك" ، ليساهم في حملة انتخابية عمل فيها لصالح مرشح الشيوعيين هو و أستاذه السابق، و الكاتب الكبير "ايمي سيزار" * الذي كان لأفكاره أكبر أثر للاستعمار .[1]

بعد انتهاء الحرب استأنف فانون الدراسة ، و حصل على البكالوريا، كما حصل على منحة دراسية لإكمال دراسته في فرنسا، نظرا للخدمات التي قدمها في الحرب ، وانخرط في كلية الطب في "ليون"، حيث عاش حياة طالب نشيط ، وكان نبوغه مرموقا بين زملائه و أساتذته وفي الوقت الذي كان يتابع دراسة الفلسفة إلى جانب الطب و يشارك في المناقشات الفلسفية و السياسية لتلك الفترة و يقرأ و يتأثر بكل من :هيجيل ، لينين ، ماركس ، و سارتر. [2]

وفي نفس الوقت الذي كان يتابع فيه دراسة الفلسفة ، كان العالم من حوله يعيش فترة من صراع حاد من جملة البلدان التي شهدته فرنسا و الجزائر و لفيتنام و كانت هاته التيارات الواقعية من جهة و الفلسفية من جهة أخرى مما دفع فانون إلى التفكير في حل مشكلته ، مشكلة الزنوج الذين كانوا يخوضون كفاحا بفرنسا .[3] و قد جاء ميلاد فانون للوقوف في وجه الرجل الأبيض و كانت هذه المواجهة مفروضة على

---

[1] الكبير: مرجع سابق ، ص 10.

***ايمي سيزار**، ولد سنة 1913، شاعر و سياسي فرنسي من المارتنييك ، زنجي الأصل تأثر بالسريالية، و عبر عن توقه لتحرير الزنوج من رقبة الاستعمار، دعا إلى الإنعتاق من الثقافة الغربية و العودة إلى ينابيع التراث الزنجي، من شعره: (فترة العودة الى الوطن) (مأساة الملك كريستوف).

[2] المرجع نفسه ، ص ص 10،11.

[3] الحفيري : مرجع سابق ، ص 19.

فرانز فانون و كانت رسالته ، رسالة الدكتوراه في الطب العقلي سنة 1951 بداية مرحلة من الصراع الطويل الدرامي [1] .

و في عام 1951 أنهى أطروحته و حضر لامتحان الداخلية بمستشفيات الطب النفسي ، و تزوج سنة 1952 م ، رزق ب"أوليفييه" .كما أنهى تخصصه مع الدكتور الاسباني "توسكيل"، و قد ساعده كثيرا في تطوير معارفه في "العلاج الاجتماعي".

و في سنة 1953م نجح في مسابقة الالتحاق ميديكا (Médicat) لمستشفيات الأمراض العقلية ، و التمس منصبا في مدينة البليدة (جوان فيل) ، و الذي سبق أن عرض عليه من الوالي العام للجزائر .

و يعد هذا المستشفى من أهم مستشفيات المنظومة الطبية ، الفرنسية، و الأهم من نوعه على مستوى إفريقيا، و قد عين مديرا للعلاج العقلي [2]، كان قد أحس لحظة وصوله لا بمهامه العلاجية وحدها و إن كان قد أفرغ لها كل عنايته و حبه و إنما أحس أيضا بالانتماء الأصيل إلى الناس المحيطين به و شعر بأن شيئا يربطه بهم ، و كأنهم يقاسمونه بعض ما يضمره في قلبه و بعض ما يخفيه في طيات وجدانه. [3]

عاش فانون و ناضل مع الثوار داخل الجزائر و شاهد بحكم مهنته كطبيب نفسي في مستشفى الأمراض العقلية بمدينة البليدة العديد من حالات الذهان (névrose) و العصاب : (psychose) من الملاحظة النزيهة اكتشف فرضية المقاومة بواسطة ما أسماه الآليات الدفاعية[4].

في هذا المستشفى أشرف على قسم يضم مرضى أوروبيين و جزائريين الذين يشكلون أضعاف عدد الأوروبيين ، إذ ضم القسم مائتي جزائري مقابل خمسة و ستين أوروبيا ، و حين حاول تطبيق طريقة" العلاج الاجتماعي" على مرضاه ، فشلت في تحقيق النتائج مع أنها كانت ناجحة في أوروبا ، و العلة في ذلك أن

---

[1] الحفيري : المرجع السابق ، ص 15.

[2] الكبير: مرجع سابق ، ص 12.

أنظر ملحق رقم (3) الصفحة 101.

[3] الحفيري : مرجع سابق ، ص 16 .

أنظر الملحق رقم (5) الصفحة 105.

[4] F .Fanon, **L'an 5 de la révolution algérienne,** Maspero , Paris ,1959 , p35.

أسباب المرض مختلفة ، و أغلبها ناتج عن الاستعمار ، و قد أراد إظهار ما يعرفه عن هذا الاستعمار للعيان، و مكافحته عن طريق مساعدة الضحايا على تملك أنفسهم خلال وعيهم بسبب مرضهم (وهو عمله كطبيب نفساني) ، ثم مشاركتهم في الكفاح ضد مسببات هذا المرض (وهو الجانب السياسي، من عمله) لقد أختار المجيء إلى البليدة لكي يفهم في الميدان تأثيرات الاستعمار على الأشخاص ، و قدرات المقاومة الشعبية في واحدة من الأراضي الأكثر تضررا في ذلك التاريخ .

و لقد تعرف على الفنان "عبد الرحمان عزيز"، الذي أعجب بعزفه و غنائه، وقام بتجارب للعلاج بالموسيقى، أعطت نتائج مشجعة على مستوى العلاج النفسي. [1]

[1] الكبير : مرجع سابق ، ص ص 13،14 .

المطلب الثالث:علاقة فانون بجبهة التحرير الوطني

كان فانون دائم الاحتكاك بالجزائريين ، ينظم الورشات ، وينشط فريق كرة القدم و جريدة محلية ، و يجول في منطقة (متيجة) لتفهم التقاليد السائدة للتكفل بالإضطربات العقلية ، وقد وقع صدام بينه وبين السلطات الفرنسية بسبب هذه النشاطات .

كما أقام علاقات صادقة وطيدة ، أثارت اهتمام المناضلين المحليين و الوطنيين ، إضافة إلى كل ذلك ، فقد كان منذ اندلاع الكفاح المسلح ، على اتصال بجبهة التحرير الوطني ، و كانت له نشاطات علنية في الفرع المحلي لجمعية "الصداقات الجزائرية" لمساندة المحتجزين ، وأخرى سرية ، حيث عهدت إليه المنظمة برعاية الجرحى و المناضلين الذين أصيبوا بصدمات نفسية من جراء القمع الاستعماري .

وقد شارك في جمع الأدوية للثوار ، وقام المسئولون المحليون لجبهة التحرير الوطني بالإطلاع مسئوليهم على أعمال و شخصية فانون ، و بذلك أصبح في نهاية 1956 ، على اتصال مع لجنة التنسيق و التنفيذ ، التي تنسق النضال بصفة سرية بالعاصمة ، وقابل بعض مسيرها . [1]

فمنذ تعيينه بمستشفى البليدة وقف "فرانز فانون" الطبيب ذو الأصل المارتينيكي ، وانطلاقا من مهنته كطبيب للأمراض العقلية والعصبية ، اكتشف حجم التدهور الذي أصاب الصحة العقلية للجزائريين ، و بالمقابل وقف على مدى تناقض مع المشاريع الإنسانية الحقيقة التي كانت فرنسا الاستعمارية تتغنى بها ، والتي لم تكن في الحقيقة ، سوى محض كذبة "منسوجة يوميا بطيف من الأكاذيب و الجبن واحتقار الإنسان " ، في كلية تصبو في النهاية إلى إذلال شعب بكامله بطرائق احتيالية جبانة ، تتنافى و مبادئ حقوق الإنسان تلك الأغنية المحروقة في شريط فرنسا الاستعمارية[2].

[1] المرجع السابق، ص ص 16،15 .

[2] المرجع نفسه ، ص17.

كل ذلك وقف عليه فانون عن تجربة بعين الطبيب المتفحص, ليصطدم, في النهاية, بهول ما وصل إليه من حقيقة الانتشار الواسع و المتزايد للأمراض العقلية في صفوف المجتمع الجزائري, الذي صنفه فانون ضمن " إحدى الوسائل التي يملكها الإنسان لفقد حريته ".

نظرة فانون تلك لم تكن من منطلق استقصائي لظاهرة اجتماعية ، بل تجاوزها لما راح يربط بينها وبين الواقع السياسي للجزائر و القوانين الاستعمارية سارية المفعول آنذاك ، و في أقصى هرمها دستور سنة 1947 ، الذي سنه المستعمر في الجزائر ، والذي لم يكن في الحقيقة سوى قانون يحمل بين دفتيه تمييزا عنصريا واضحا بين شعب أصيل مستعبد ، و أقلية من الكولون الذين جيء بهم من هنا وهناك بتعداد يفوق المليون نسمة تفردت بثروات الجزائر، و استحوذت على الغالي و النفيس من ثروات ومزايا و خيرات ، بينما ابن الأرض الأصيل استعبد من قبلهم ، و ظل يعاني ولا يجيد كسر خبز تشبع جوعه ، ما أضفى عليه طابع الذل و المهانة ، نتيجة الفقر والفاقة و الخنوع ، وهو يعيش على أرض آبائه و أجداده . هذه الوضعية غير العادية تفطنت لمقتضياتها الحركة الوطنية ، و لمست البين الشاسع بين هذا و ذاك ، وحاولت التصدي لها من خلال التكيف مع تلك القوانين الجائرة و مجاراتها في سبيل الوصول إلى ما هو أغلى و أثمن ، ما جعلها تسارع إلى تأسيس المنظمة السرية سنة 1947 ، التي حضرت بدورها للكفاح المسلح عقب مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، أما المؤشر الثاني الذي بين مدى الوعي السياسي الذي بلغه رواد الحركة الوطنية بالمرحلة القادمة ، عندما أعلن دعاة الاندماج اصطفافهم وراء التيار الوطني .

وكان فانون مدركا لخطورة الوضع الذي ما فتئ تتزايد حدته مع مرور الأيام والشهور ، في ميزان معركة غير متكافئة ، بين شعب فقير أعزل و غارق في اللاعدل و قوة استعمارية عالمية أدلتها الإذلال و القمع والتقتيل . و هو ما أستشعره المارتينيكي الأسود بداية من سنوات الخمسينيات ، وعبر عنه قائلا : " إن الرهان العابث الذي حاوله الاستعمار يتمثل في رغبته في إقامة بعض القيم ، في حين أن انعدام الحق وانعدام المساواة و القتل اليومي للإنسان أضحت قوانين دستورية " . وكان لابد من مواجهة هذا الوضع القائم بثورة عارمة ضد كل ذلك الزيف و الحيف و الاستعباد ، و قد تنبأ فانون بالثورة وباركها ، بل و نظر قائلا : " إن الأحداث الدامية الحالية – يقصد الثورة التحريرية – لا تشكل في نظر الملاحظ ، فضيحة . إنها ليست خللا و لا عطبا .." كما كانت تدعي فرنسا ظلما و بهتانا على المجاهدين, الذين وصفتهم بقطاع الطرق تارة وبالمتمردين تارة أخرى ، بل كانت نتيجة طبيعية لتراكمات مؤلمة من القهر والاضطهاد و محاولات المسخ

والتشويه دامت 132 سنة. فليس للمرء أن يكون طبيبا نفسيا : " كي يكتشف وراء طيبة الجزائري الظاهرية ، و وراء خنوعه ، وجود مطالبة أساسية بالكرامة , تلك المطالبة التي دفعت لاندلاع ثورة شعبية رأى فيها فانون العلاج الأمثل لكل تلك الآفات التي خلفها الاستعمار ، فوجب استئصالها بنواصي البنادق و الخناجر و الرصاص " .[1]

كلف بمهمة الإعلام في "جريدة المجاهد " (EL-Moujahid-1957-1961)، الناطقة الرسمية باسم الثورة الجزائرية حيث كان موقفه السياسي يتمثل في تحقيق الوحدة الإفريقية التي تستطيع العمل مع آسيا و أمريكا اللاتينية و استقلالها السياسي الثقافي و الاقتصادي من أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية و في هذا المعنى أكدت سيمون دي بوفوار* قائلة : "كان (فانون) يحلم بالوحدة الإفريقية المتحررة من كل استغلال أجنبي" [2] .

و في شهر جانفي 1957م ، قبيل إضراب ثمانية أيام بقليل أكتشف أمره ، فقدم استقالته إلى الحاكم العام [3] ، مؤكدا للوالي العام أنه حتما من وراء إضراب الجزائريين واصفا إياه أنه نابع – أي الإضراب – من منطلق تيار فكري إجماعي و عن اقتناع تام – بالنظر إلى الظروف التي يعيشها الشعب ، و ليس مرده الخوف .هكذا قالها فانون للوالي العام بشجاعة قل نظيرها ، وهو الذي كان مخيرا بين الصمت أو الخروج عن الصمت . ولما علم أن الأول سيصبح مرادفا للكذب في زمن اختاره الوفاء للمهنة في أعمق مفاهيمها ، وبعدما قال ما قال التمس فانون من الوزير الفرنسي المقيم بالجزائر مخاطبا إياه : " اطلب منكم إن تتفضلوا بقبول استقالتي ، و أن تضعوا أحدا لمهنتي في الجزائر " ،ليتفرغ بعد ذلك للدفاع عن أكبر قضية عادلة ألا وهي الثورة الجزائرية الذي التحق بها فعلا و مثلها في أكبر المحافل الدولية ، منها قيادة وفد جبهة التحرير الوطني في مؤتمر " أكرا" الإفريقي سنة 1958 , في دولة غانا ، و رفع العلم الجزائري لأول مرة في ملتقى دولي .[4] حيث قابل المكافح القديم "نكرونا" *، الذي أصبح رئيسا لدولة حديثة الاستقلال و في مارس عام

---

[1] بريكي (محمد عاطف) : فرانز فانون الأيقونة السوداء التي كشفت فضاعت الاستعمار،جريدة الخبر،عدد رقم 12، 01 فيفري 2013 الموافق ل20 ربيع الأول 1434 هـ ، ص 15 .

[2] عمراني : مرجع سابق ، ص ص 69،70.

انظر ملحق رقم (4) الصفحة 102.

[3] الكبير: مرجع سابق ، ص 17.

[4] بريكي: مرجع سابق ، ص15.

1959 ، شارك في المؤتمر الثاني للكتاب و الفنانين السود في روما ، ثم شارك ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا الذي عقد في تونس ، في شهر جانفي 1960 م ، وهذا بعد فترة نقاهة قضاها اثر حادث سيارة تعرض له أثناء قيامه بمهمة كلفته بها جبهة التحرير الوطني ، على الحدود المغربية , في شهر مارس 1960 م ، عين ممثلا دائما للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في "أكرا " ، وشارك في مؤتمرات افريقية عديدة ، قابل الكثير من المسئولين السياسيين، وساهم في إعداد إستراتيجية جديدة وهي فتح جبهة جنوبية تسمح لمجموعات جبهة التحرير الوطني بالدخول إلى التراب الوطني انطلاقا من مالي . وفي صيف هذه السنة قام بزيارة خاصة " لباتريس لومبا " * في الكونغو ، و أثناء زيارته تلك بدأ فانون يشعر بالمرض يدب في أوصاله .[1]

* يعتبر الزعيم الغاني د.كوامي نكروما 21 سبتمبر 27 - 1909 أبريل 1972 من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار، وكان أول رئيس لغانا المستقلة 1 يوليو 24 - 1960 فبراير (1966 ورئيس الوزراء الأول 6) مارس 1 - 1957 يوليو 1960 ، وأبرز دعاة الوحدة الأفريقية وواحدا من مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية قبل إسدال الستار عنها في يوليو/تموز 2002.

* ولد باتريس لومومبا عام 1925في ستانليفيل (كيسانغاني) بمقاطعة الكونغو الشرقية، وينتمي إلى قبيلة باتيليلا وهي جزء من قبيلة المونغو. وهو من أبناء النخبة الكونغولية التي حظيت بالتعليم في فترة الاستعمار البلجيكي المتحالف معه.

أنظر ملحق من رقم (08)،(13) ص ص 96-101 .

[1] الكبير : مرجع سابق ، ص ص 17- 19 .

المطلب الرابع : وفاة فرانز فانون

في سنة 1960 تعرض فانون لحادث سيارة غير أنه نجا منه بعد معالجته في روما ، غير أن القدر كان له بالمرصاد حيث أصيب بسرطان الدم " لوكاميا[1] " أرسل على إثره للمعالجة في روسيا أمريكا ، [2] لاستشارة الأخصائيين ، لكنه عاد بدون بارقة أمل في الشفاء وصار يعرف و هو في الخامسة و الثلاثين من عمره ، أنه سيموت هذا ما دفع به أن يعود بين الثوار الجزائريين وفي أفريل سنة 1961 كان هذا المناضل لا يريد لأفكاره و لتجربته أن يموتا معه ، فأخذ يملي و يقدم عروضا وشروحا و نصوصا لزوجته التي كانت تطبعها على الآلة الكاتبة [3] ، في تحرير كتابه معذبو الأرض الذي اسماه باسم هؤلاء [4] ونتج عن ذلك فيما بعد أحد أعظم أعماله ، وفي يوم السادس من شهر ديسمبر 1961 م وافته المنية .[5] مات ولم ينعم بالحرية وبالاستقلال الجزائر .

دفن فانون بأرض الجزائر على بعد بضعة كيلومترات من الحدود التونسية، بعد أن منعت القوات الفرنسية نقل جثمانه مسافة أبعد من ذلك. لكنه في 25 من يونيو من عام 1965 نقل جثمانه من جديد إلى مقبرة الشهداء بعين الكرمة. ولم تستجب السلطات الجزائرية للطلبات التي تقدمت بها عائلته لإعادة دفنه ب "المارتنييك" . بعد انتحار والدته في 13 من يوليوز 1989 ، طالب ابنه " أوليفييه فانون " بوضع رفات والده إلى جانب قبر والدته التي يحمل قبرها اسم نادية ، بالعاصمة الجزائر . لكن سكان عين الكرمة رفضوا نقله إلى الجزائر بحجة أنه شهديهم، وبأن قبره مقدس. وإلى اليوم، لا يزال فانون يرقد بشرق الجزائر، بمدينته الأصل"فور دو –فرانس"نصب تمثال لتخليد ذكراه بمقبرة (لالوفيه)، وهي المقبرة المخصصة لدفن الأعيان، كما

---

[1] الحفيري : جان بول سارتر ، مرجع سابق ، 68 .

[2] عثمان (محمود) : مفهوم العنف في فكر فرانز فانون و علاقته بالثورة الجزائرية ، مذكرة ماجستير ، العام الدراسي : 1987–1988 ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر ، ص 27 .

[3] الكبير: مرجع سابق، ص 21.

[4] عثمان : مرجع سابق، ص27.

[5] الكبير: مرجع سابق، ص 22.

يطلق عليها أيضا مقبرة «الأثرياء». لم يتحول القبر إلى مزار. أما الفقراء فيتم دفنهم بمقبرة "طرابود"، الواقعة في أحد التلال المطلة على المدينة . [1]

كان يلقبونه بعدة ألقاب من بينهم : لدينا دكتور "نيقرو" ، لدينا دكتور " يديه مباركة " أما الطلبة فكانوا يلقبونه عنه : " لدينا أستاذ فهو من أكبر العباقرة " ، [2]صاحب العين الغريقة [3] .

تاركا ورائه مؤلفات قيمة خلدت اسمه بخط من ذهب في التاريخ.

[1] قبال (معطي) : كيف ساهم مؤلف «معذبو الأرض» في إشعال ثورة الجزائر،
http://almassae.press.ma/node/34566 ، تاريخ الزيارة 2013/04/18 ، 18:30

[2]الحفيري : جان بول سارتر ، مرجع سابق ، ص68 .

[3] السلايلي (محمد) : معذبو الأرض يتذكرون فرانز فانون ، http://www.maghress.com/almassae ، تاريخ الزيارة 25-04- 2013، 20:17 .

أنظر الملاحق رقم (14)، (15)، (16) الصفحة102-104.

المبحث الثاني: مآثر فرانز فانون من خلال بعض كتاباته وما قيل عنه

المطلب الأول : كتابات فرانز فانون

إن مجيء فرانز فانون إلى الجزائر قد اقترن إحساسه بان العدو و المستعمر هنا هو نفسه الرجل الأبيض الذي يطاردها في كل مكان ، و هو نفسه الذي يملأ أذنيه وقلبه بمدى التمييز الذي يعلو به عليه ، و لم يجد في الجزائر إخوته في الوضع الزنجي و إنما وجد نفسه أمام العدو المستعمر الذي كان بالنسبة إليه شخصيا خالق الوضعية الزنجية و مؤسسها ، لذلك فقد احل غضبته السوداء محل إحساس الجزائري بالوطنية و أصبح بين ليلة وضحاها مواطنا جزائريا يدين بحرية الجزائر واستقلالها لأنها حريته هو نفسه إزاء عدو موحد وبهذا كان الهم المشترك عنده وعند الجزائريين ليس الوضعية الجنسية وإنما الاتقاء عند الخالق هذه الوضعية الزنجية في صورة جديدة و قناع جديد هو قناع الرجل المستعمر الغاصب . [1]

1- علم اجتماع الثورة :

إن الموقف الاستعماري يجعل الأشياء تأخذ طابعا خاصا، وعلى أولئك الذين يحاولون أن يستخلصوا الشخصية الجزائرية الأساسية أو يعمدون إلى معرفة نفسية المواطن الأصلي... على أولئك جميعا أن يفهموا فهما واضحا بان ذلك غرور لا يمكن تحقيقه في صورة علمية واقعية أثناء فترة الصراع من اجل التحرير الوطني لشعب متخلف ومن ذلك الوقت الذي يتطلع فيه جسم الأمة أن يخلق لنفسه طريقة بديناميكية متماسكة من اجل الحياة ، ويصبح كل فعل من الأفعال ممكنا وبالتالي فلا يمكن في هذه اللحظات المليئة بالصراع أن نستكشف نمطا موحدا للشخصية الجزائرية و إنما سنجد أن هذه الشخصية الجزائرية كما تتمثل في عهد الثورة وحرب التحرير قد سمحت لنفسها القيام بأي تصرف محتمل الوقوع من اجل بلوغ الهدف النهائي [2].

ويقول فرانز فانون في مقدمة كتابه علم اجتماع الثورة (sociologie d'une révolution) : " رجال الجزائر ونساؤها لا يشبهون اليوم رجال و نساء عام 1830 ، فالجزائر القديمة قد انتهت ، إن الدم البريء الذي يتفجر من الشرايين المتنكرة فوق التراب الوطني قد رفع إلى الوجود إنسانية جديدة " [3].

---

[1] الحفيري : مرجع سابق ، ص20-22.

[2] نفسه، ص43.

[3] سلسلة ملتقيات: كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، د.س.ن ، 236ص .

2- بشرة سوداء أقنعة بيضاء :

وهو أول كتاب له ، بين فيه تأثيرات العنصرية في شخصية الزنوج المغلوبين على أمرهم ، و تكمن قوة الكتاب في تمكن الكاتب من المسألة كاختصاصي و مثقف ملتزم صدر عام 1952 م ، في باريس و لفت الأنظار للكاتب [1] ، سلطت الأضواء على فانون مباشرة بعد تأليفه كتاب "بشرة سوداء أقنعة بيضاء "عام (1952) وكان لهاذ الكتاب ردود فعل كثير في الأواسط الغربية التي امتلأت انفعالا و شحنة و أبت إلا أن تصرخ دون هوادة بأن فانون لها ولا يمكن أي يثور عليها ، على أن فانون قد حقق فيما بين 1952 - 1961 تطورا فكريا عاليا فقفز من التمرد على الزنجية في كتابه بشرة بيضاء أقنعة سوداء إلى ثورة الجزائر التحريرية التي سجلها في كتابه علم اجتماع الثورة ، أو الثورة الجزائرية في عامها الخامس إلى صرخات وجهها الله للعالم الثالث و كتابه "معذبو الأرض" الذي أنهى تأليفه على فراش الموت مقاسيا كل ما سببه له سرطان الدم الذي أصيب به من آلام و أوجاع ...

لقد كان فانون رجلا فرنسيا فهو لم يكون زنجي فحسب ككل الزنوج المستعمرين و لم يكن رجلا فرنسيا كالرجال الفرنسيين بإفريقيا الغربية أو إفريقيا الاستوائية لقد كان فانون (مارتينيكي) أي انه كان مواطنا بأتم معنى الكلمة منتميا إلى إقليم فرنسي و هذه الوضعية كفيلة لوحدها بان تدعم أكثر فأكثر طابع الجرح لسواد لونه ، فهو في الوقت نفسه فرنسي إزاء زنوج إفريقيا المستعمرين و زنجي أي انه موضع ادني إزاء الفرنسيين البيض و هكذا باتصال فانون المباشر مع الواقع العنصري للعالم البيض سيحس و يرى ويدرك انه مخالف للصورة التي تبنتها طفولته و تربيته السابقة وهو الاتصال الذي سيزيل على مدى السنوات الكثيرة ، جميع هذه الأوهام ليرسم خلالها فانون " بشرة بيضاء أقنعة سوداء" إلى " معذبو الأرض" إيديولوجية مادية للتاريخ [2].

[1] الكبير : مرجع سابق ، ص23 .

[2] المرجع نفسه ، ص 33 .

3-العام الخامس للثورة الجزائرية أو سوسيولوجيا ثورة :

صدر في باريس عام 1959 م .[1] و من بعض ما كتب في هذا الكتاب "حجاب يخلع وحجاب يرتدى و أصبح الحجاب فنا في التمويه و وسيلة كفاح ".[2]

" و لم تفهم السلطات الفرنسية في الحال الأهمية الفريدة لهذا التغيير إزاء الراديو لدى الشعب الجزائري فان مواقف المقاومة القديمة في نطاق العائلات تتفجر و قد أصبحنا نرى في إحدى الثورات جماعات من العائلات تتسمر أنضارهم آباء و أمها ، و أخوات و هم جالسون المرفق على المرفق ، على إبرة الراديو ، انتظارا لصوت الجزائر . إن الأسرة الجزائرية تكتشف نفسها، وهي التي غدت فجأة غير مبالية بالاحتشام القديم و المعاشرة الجافة القديمة، الخالية من الألفة، على أنها محصنة ضد حثالة الدعابات أوجمل العشق التي يلقيها المذيع أثناء الحديث هنا أو هناك ." [3]

4- معذبوا الأرض :

أملاه على زوجته في أيامه الأخيرة ، حيث كانت تطبع على ما يميله على الآلة الراقنة ، بحضور أصدقاء كان يستدعيهم للحضور ، فرغ منه في شهر جويلية 1961 ، فطبع في ربيع عام 1962 ، إبان وقف إطلاق النار بين الجزائر و فرنسا ، و ضع مقدمته " جان بول سارتر " ، وقد نال شهرة و نجاحا كبيرين ، مع أنه أملاه و هو خائف من أن يحول الموت دون إتمامه ، و قد أرسله للناشر دون مراجعة .[4] من وسنتوسع فيه من خلال ما سيأتي لاحقا.[5]

قال " جان دانيال " : (إن فانون نجح قبل ان يموت في تحقيق حلم حياته وهو إعطاء صوت ثوري للعالم الثالث ... الذي عبر عنه بصورة غنية عميقة و رائعة ... و يمكن أن نتبنا "الكادحون في الأرض" بنفس المصير الذي كان للصفحات العظيمة التي كتبها لينين حول الدولة والثورة) .

و قال "أيمي سيزر " : (إن أعظم كتاب ظهر حتى الآن عن تصفية الاستعمار و مظاهرها و مشاكلها هو كتاب فانون "الكادحون في الأرض") .

---

[1] الكبير: المرجع السابق ، ص 23.

[2] فرانز فانون : سوسيولوجية ثورة ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، د.ط ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، 1970 ، ص 54 .

[3] الميلي (محمد مبارك) : فرانز فانون (العام الخامس للثورة الجزائرية) ، الطبعة الأولى، دار الفارابي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004 ، ص ص 82،83 .

[4] الكبير: مرجع سابق، ص ص 23، 24.

[5] نفسه.

أما " جيل ماريتني " : (إن كتاب فانون هو ثمرة هذه التجربة الواسعة التي ترجي أمام أعيننا دون أن ندرك معناها دائما ... إن الفكرة التي يعرضها هي فكرة التيار التقدمي الذي ينمو و يتدعم من خلال الحركات الوطنية في إفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية ... إنها فكرة الاتجاه الثوري الجديد على صعيد العالم الثالث ... و هي تعبير عن ظاهرة سياسية عظمى ستلعب دورا حاسما في السنوات القادمة). [1]

وكما نلاحظ أن كتاب معذبو الأرض له عدة أسماء مثل : الكادحون في الأرض ، ملاعين الأرض و هذا راجع حسب الترجمة .

5- من أجل إفريقيا :

ظهر بعد وفاته، و هو مجموعة مقالات ظهر معظمها في صحيفة المجاهد. و في موضع من كتاب " من أجل إفريقيا " يعاقب الفرنسيين الذين ينددون فقط بالتعذيب ولكن بالمقابل يؤيد بقاء الجزائر مستعمرة فيقول فانون : ((الناس منذ زمن قريب صاروا يتحدثون بكثرة عن التعذيب التي يسلطه الجنود الفرنسيون على المواطنين الجزائريين و قد نشرت في هذا الصدد نصوص متدفقة رهيبة كما نشرت مقارنات تاريخية بين هذه الألوان من التعذيبات وبين نظائرها من الماضي ، وقد نددت شخصيات أجنبية من بينها فرنسيون كثيرون هذا الأسلوب الوحشي ، في الاستنطاق ، على أننا ندقق النظر في الجهاز الاستعماري نجد أن الفرنسي الذي يثور ضد التعذيب فقط و يندد بالتعذيب فحسب ، ليس منطقيا مع نفسه ، لأنه يجب عليه فيما أذا أراد أن يكون منطقا معقولا حقيقة ، أن يثور ضد الجهاز الاستعماري بأكمله ، لا أن يؤيد بقاء الاستعمار بالجزائر معناه بقاء التعذيب بها ، ليس التعذيب خطأ استعماريا يقتضي ويستلزم وجود التعذيب و التقتيل و كل أنواع الوحشية إن التعذيب هو الشكل الطبيعي الذي تتخذه كل علاقة بين السيد المحتل و بين العبد الذي سلط عليه الاحتلال و هذه الحقيقة يفهمها البوليس الفرنسي جيدا ...)) [2] .

6-فانون في جريدة المجاهد:

دامت مساهمة فانون في جريدة المجاهد من سبتمبر 1957 ، إلى جانفي 1960 ، و هي الجريدة التي ظهر أول عدد منها في جوان عام 1956 ، باللغة العربية والفرنسية ، و أول مقال لفانون ظهر في سبتمبر 1957 , أي لما كان مقر جريدة المجاهد في "تيطوان" بالمغرب و ما يلفت الانتباه هو أن كل

---

[1] فرانز (فانون) : حول العنف ، مجلة المجاهد ، العدد 32 ،1961/12/25 ، ص09 .

[2] رماضنة (جعفر) : أنواع و أساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر ابان الثورة الجزائرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، باتنة ،2005- 2006 ، ص155 .
أنظر ملحق رقم (4) ، (6) ، (7) الصفحة 92، 94 ، 95.

المقالات كانت تنشر دون أسماء أصحابها و من هذه الزاوية ، يصعب التمييز بين مقالات" فرانز فانون " و المقالات الناطقة باسم الجريدة أو مسئول التوجيه السياسي ، في نفس السنة ، حول مقر الإدارة من المغرب إلى تونس و تبقى طبيعة مشاركة فانون في جريدة " المجاهد السرية " ، موضوعا للتساؤل حول مسؤولياته في التوجيه السياسي للجريدة ، وخاصة إذا كنا نعلم العلاقة الحميمة التي كانت تجمعه بأعضاء جبهة التحرير الوطني .

و إذا اعتمدنا على مقالاته التي نشرها بين (1957-1960) فان مشاركته تبدو غير وافية من حيث المقالات لكن هذا لا يدل على عدم مساهمته في توجيه الجريدة سياسيا .

إذا كان محمد الميلي : يؤكد على أن اختيار المواضيع اختيار تفرضه إدارة الجريدة فلا يستطيع بالمقابل أن ينكر الطابع المميز الذي تنفرد به مقالات فانون : من حيث أصالتها اللغوية التي هي خاصية أسلوبه و إذا كان هناك تطابق بين مواقف فانون و آرائه السياسية و مسيري الإدارة فهذا لا يمكن معرفته بدقة . لذا من الصعب معرفة ما لفانون و خاصة آرائه تلك التي تتعلق بالسياسة الخارجية ، و ركز فانون في مقالاته على أربعة مسائل أساسية وهي : الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، ردود فعل اليسار الفرنسي بما في ذلك الحزب الشيوعي ، مواقف الجبهة التحرير الوطني تجاه الأقليات ، و أخيرا أحداث أفريقا .

لا تعتبر هذه المقالات تشريحا للنظام الاستعماري بل مجرد وصف لظواهر سياسية واجتماعية داخل المنظومة الاستعمارية و أول ما يميز هذا الواقع السياسي هو توكيد فرنسا بكل تنظيماتها السياسية و الطبقية على أن الجزائر امتداد طبيعي لها والحال ، أن موقف مثل هذا لا يساعد على إيجاد حل مشكلة الجزائر بل يزيدها تأزما ، مما انعكس على علاقة اليسار الفرنسي بالثورة الجزائرية من جهة ، و فانون من جهة أخرى و ما لبث هذا الأخير أن كتب ثلاث مقالات تحت عنوان : " المثقفون و الديمقراطيون الفرنسيون أمام الثورة الجزائرية " ، و ليس من الغريب أن تجد الثورة الجزائرية مكانتها في أعمال فانون الفكرية والتي كانت ميدانا خصبا لكل مقالاته و مؤلفاته الأخيرة ، وحتى فانون ذاته يعترف ضمنيا في بعض مقالاته أنه فخور و يعتز أن يكون واحدا من أبناء الثورة الجزائرية و إلا كيف يمكن أن نفسر ذلك الانتقال من " الأنا " الزنجي الذي يتخلل كتاب بشرة سوداء أقنعة بيضاء ، إلى نحن الجزائريون و الذي يترجم الانتماء إلى أناس يقاسمونه بعض ما يخفيه داخل وجدانه . [1]

[1] عثمان : مرجع سابق ، ص ص 68 -70 .

أنظر ملحق من رقم (17) إلى (19) الصفحة 105-110.

المطلب الثاني : ما قيل عن فرانز فانون

يقول " **محمد يزيد** " رفيقه في الجهاد : لقد شارك فانون و ناضل في الثورة الجزائرية ، ضمن إطار جبهة التحرير الوطني ، وهذا النضال ، وتلك المشاركة هي التي جعلته يكتشف خفايا المشاكل التي يعاني منها العالم الثالث ، ثم انه بفضل الصفة التمثيلية لجبهة التحرير التي كان يتمتع بها ، استطاع فانون أن يتعرف على التجارب الثورية ، في إفريقيا أولا ثم في آسيا و أمريكا اللاتينية ثانيا ...

إن أجود مؤلفاته السياسية كتبت خلال حرب التحرير الوطنية ، ... لقد كان فرانز فانون واحدا من المناضلين الذين عايشوا الثورة الجزائرية ، و تطعموا بأفكارها و استماتوا لأجلها ،لذا فهي لم و لن تنساهم تماما كما لم تنس شهدائها ، و ما كون شوارع و مؤسسات هامة في الجزائر ، تحمل الآن اسمه الا أحد الدلائل على كون فانون لم يكن ينتمي إلى العالم الثالث فحسب و لكنه قبل كل شيء واحدا من أبناء الثور ة الجزائرية ...

وهذه الشهادة من المجاهد الجزائري المذكور آنفا تدل على الاعتراف بجميل هذا الرجل الإنساني الثائر على الظلم الاستعمار الفرنسي و طغيانه ، كما تدل هذه الشهادة على وجوب الوفاء لكل من أعان الجزائريين من الأصدقاء غير المسلمين في ثورتهم ، وما أكثرهم ، إذ أن هذا الرجل المساند للمجاهدين في كفاحهم هو أحب و أقرب إليهم من اللذين ساندوا عدوهم و خانوا وطنهم من أبناء الجزائر . [1]

قالت "**سيمون دي بوفار**" : " من أجل الصداقة التي كانت بيننا ، لقد شعرنا نحوه ، وكذلك ماذا يستطيع أن يقدم لمستقبل الجزائر أفريقيا ...حقيقة أنه كان رجل فذ " [2].

لم يفقد فانون الأمل في اليسار الفرنسي لأنه وجد في بعض الشخصيات الفرنسية وسيلة للتأثير على الرأي العام الفرنسي ، حتى أنه طلب ذات يوم من سارتر "Sartre " أن يكتب مقالا في مجلة " الأزمنة المعاصرة " **les temps modernes**" يعلن فيه عن معارضته لمواقف الحكومة الفرنسية و تبنيه قضية الجزائر و لم يخفي " فانون" أمنيته أن يرى " سارتر" داخل السجن حتى يكون له انعكاس سياسي على أحداث الجزائر . وهنا يمكن أن نفهم إعجاب فانون ب "سارتر" و إذا كان يمنى هذا الأخير أن يلتزم أكثر بالقضية الجزائرية و بطبيعة الحال أعجاب " ساتر" بمفكرنا حتى أنه طلب منه وضع مقدمة لكتاب " معذبو الأرض" ، حيث اعتبر طلبه هذا شرفا لم يكن سابق .

---

[1] الكبير : مرجع سابق ، ص ص 29،30 .

[2] عمراني : جان بول سارتر ، مرجع سابق ، ص 71 .

عند تشييع جنازة فانون صرح ممثل عن الحكومة الجزائرية المؤقتة السيد كريم بالقاسم :" فرانس فانون ! مثالك يبقى دائما حيا نم و استرح في سلام فالجزائر لن تنساك أبدا ".[1]

في مقال أجرته الصحفية "**أغا ندري** " مع محمد الميلي : بغية معرفة من هو أكبر منظر للثورة الجزائرية يدهشنا محمد مبارك الميلي بهذا القدر المحترم قائلا : " الشيخ بن بأديس لو عاش الثورة توفي سنة 1940 و فرانز فانون لو كان جزائريا " . [2]

و هذا " **سمويل رودي** " : في دراسته عن اليسار عام 1966 , عندما قال : " كان فانون في جوهر موقفه ينزح الصراع من أجل استقلال الجزائري بالثورة الاجتماعية "[3]

يقول الفيلسوف والمفكر الفرنسي " **جان بول ساتر**" في مجلة المجاهد : " إذا استبعدتم ثرثرة سوريل الفاشستية فستجدون إن فانون هو منذ إنجلز أول من ألقى ضوءا ساطعا على أكبر عامل في دفع التاريخ إلى الأمام وهو العنف "

"**آنا غريكي**" عند وفاة فانون في مجلة المجاهد تثني على كتابه "الكادحون في الأرض" بقولها : (يعد كتاب "الكادحون في الأرض" شهادته الأخيرة و حصيلة تجاربه ووصيته ... و لهذه الوصية الروحية قوة شعرية لا نظير لها و جمال رائع أخاذ ، إنها تجرف وتلهب و تضئ ، إنها تثير في نفوسنا الامتنان ل " فرانز فانون " من أجل هذا العمل الفكري العظيم الذي تركه لنا) . [4]

وجد العقيد " **الهوا ري بومدين** " في أفكار فرانز فانون الثورية التفسير الموضوعي و القراءة الصادقة و المعالجة الوافية للواقع الجزائري ، كما كانت التعبير الكامل عن إحساسه الوطني وقناعته الخاصة و حياته الشخصية خاصة وأنه القائد ذو الانتماء ألفلاحي الذي يشرف على جيش 70 في المائة من جنوده فلاحين من الريف الجزائري .

اهتم "**الهواري بومدين**" بأفكار فرانز فانو ن التي شكلت المادة الأساسية في الثقافة السياسية لجنوده ، إلى جانب مؤلفات " شي غيفارا " و" لينين " و"وماوتسي تونغ" ، التي كانت مراجع متوفرة في مكتبة قيادة الأركان العامة ب"غارادامو " حيث يقيم شخصيا ، و يسجل إن الصحفيين الذين زاروا بومدين سنة 1960 ،

---

[1] نفسه.

[2] عثمان : مرجع سابق ، ص 89 .

[3] حفيري : مرجع سابق ، ص 21 .

[4] فرانز (فانون) : حول العنف ، مجلة المجاهد ، العدد 12 ، 1961/12/25 ، ص 08 .

ب "غاردامو " وجدوه يحتفظ في مكتبه الخاص بصورة فرانز فانون إلى جانب صورة الأمير عبد القادر رمز الدولة الجزائرية .

لم يكتف بومدين بطرح الشعارات السياسية ، بل جسد أفكاره الثورية الاشتراكية الفانونية (نسبة إلى فانون) ، ميدانيا في تنظيمه لحياة اللاجئين الجزائريين و ذلك يوم 21 فيفري 1961 ، حينما قام قوات الجيش بنقل ألف مواطن جزائري من محتشدات الاحتلال ، كما قامت قوات الاحتلال بعملية أخرى يوم 31 مارس من نفس السنة بفك أسر ألف مواطن جزائري آخر و أخذها هؤلاء المحررين خارج الحدود داخل غابة كثيفة أين شيدت لهم بيوت من الخشب مع جميع مرافق الحياة الضرورية (مدرسة مصحة) ، كما قاموا بتسيير شؤونهم ديمقراطيا غير انتخابهم لمجلس بلدي من "5" أعضاء من بينهم امرأة .[1]

قال "جون بيار ميسيي" أستاذ في علم الاجتماع لجمهورية كونغو برازافيل :

"لقد حافظ على ثقافتنا كأفارقة.. شخصيا تأثرت كثيرا بكتابات فانون خاصة كتابه المعنون "معذبوا الأرض".[2]

[1] بن مرسلي (أحمد) : الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 (دراسة شخصية بومدين) ، مجلة المصادر الفصلية ،العدد الأول، الجزائر ، 1419هـ/1999م ، ص ص 85-87 .

[2] سيد علي(نصيرة) : أسطورة القرن العشرين ، 09-07-2009 ، تاريخ الزيارة 02-05-2013 ، 12:12، http://www.djazairess.com .

المطلب الثالث : بعض مقتطفات مما كتب فرانز فانون

لقد اتخمت أوربا ذهبا و مواد أولية من البلاد المستعمرة ... من أمريكا اللاتينية، و الصين و إفريقيا فمن هذه القارات التي تتيه عليها أوروبا بثرائها الضخم، كانت تمضي منذ قرون إلى أوروبا، هذه الأحجار الكريمة و البترول ، و الحرير والقطن و الأخشاب و المنتجات المحلية... إن أوروبا إنما خلقها العالم الثالث، والثروات التي تتخم أوربا اليوم، إنما سرقتها من الشعوب المتخلفة ".

" البرنامج الاستعماري يعتبر أن المرأة هي التي يجب أن تتعهد بالدور التاريخي في تحريك الرجل الجزائري, فتحويل المرأة الجزائرية، و ربحها إلى جانب القيم الغربية و انتزاعها من وضعها التقليدي، يعني امتلاك الرجل، وامتلاك وسائل عملية وفعالة لتحطيم الثقافة الجزائرية".

(..إن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمرة هي الطبقة الثورة الوحيدة ، إن هذه الطبقة لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئا ، بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شيء ، و الفلاح المنبوذ الجائع هو الإنسان المستغل الذي يكتشف قبل غيره إن العنف هو الوسيلة المجدية ، انه امرؤ ليس له حل وسط ، ولا مجال عنده للتسوية ، والقوة و حدها هي التي تحدد في رأيه بقاء الاستعمار أو زواله ، أن هذا المستغل يدرك أن تحرره يقتضي استعمال جميع الوسائل و أولها القوة ، حين أعلنت جبهة التحرير الوطني عام 1956 م في منشور شهير لها : (إن الاستعمار لا يرفع يده إلا إذا جعلت السكين في عقنه ... كان هذا المنشور ينطق بلسان جميع الجزائريين ، و يفصح عما رسخ في أعماقهم و ضمائرهم من أن الاستعمار ليس آلة مفكرة ، ليس جسما مزودا بعقل ، و إنما هو عنيف و هائج لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى...)[1]

"لابد لكل جيل أن يكتشف رسالته وسط الظلم ، فإما أن يحققها و إما أن يخونها ، و الأجيال السابقة في البلاد المتخلفة قد قامت بعملين في آن واحد : قاومت أعمال الاستنزاف التي تابعها الاستعمار ، و هيأت نضج الكفاح الذي نخوضه الآن ، فيجب علينا و نحن في عمق المعركة أن نقلع عن تلك العادة التي تعلمناها ، وهي أن نبخس (ننتقص) الأعمال التي قام بها آباؤنا حقها ، فالحق أن آبائنا قد ناضلوا بما استطاعوا ، ناضلوا بالأسلحة التي يملكونها ، و إذا لم تسمع أصداء نضالهم على المستوى الدولي ، فليس مرد ذلك إلى نقص بطولتهم ، بل إلى الظرف الدولي في ذلك العهد الذي يختلف عن الظرف الدولي الحالي اختلافا كبيرا ، لقد كان لابد أن نقول أكثر من مستعمر (خاضع للاستعمار) : لا يمكن أن يدوم هذا الوضع وكان لابد أن تقوم أكثر من قبيلة بعصيان ، و كان لا بد أن تخمد أكثر من ثورة ، و أن تقمع أكثر من

[1] الكبير: مرجع سابق ، ص ص28-25 .

مظاهرة كان لابد من ذلك كله حتى نستطيع نحن اليوم أن نقوم بكفاحنا مؤمنين بالنصر ...إن مهمتنا التاريخية ' نحن اللذين قررنا أن نمزق أحشاء الاستعمار، هي أن نرتب جميع الثورات، وجميع الأعمال المستميتة، وجميع المحاولات التي أجهضت أو غرقت في الدم «.

"في المستعمرات وسيلة التواصل بين المستعمر و السكان الأصليين هو الشرطي و الدركي و بالتالي هي لغة العنف " .

"المستعمر هو السبب العنف و هو خالقه و كل عنف من أهل البلاد و من حركتهم الثورية مهما بلغت شدته هو رد فعل على العنف الأصلي". [1]

((لقد أصبح من البديهي اليوم تسليم بان الدول التي تتمتع باستقلالها منذ 1958لم تكن لتحصل على الاستقلال لو أن الاستعمار الفرنسي لم يتلق الضربات العديدة و القوة التي وجهها له الشعب الجزائري)).

((إن الملاحظ لا يستطيع أن يفهم تطور العلاقات بين المستعمرات و سيطرة الفرنسي إن لم يستحضر باستمرار كفاح الشعب الجزائري)) . [2]

كتب فانون عن الثورة قائلا: " إن الثورة في عمقها وفي حقيقتها هي التي تحول الإنسان وتجدد المجتمع فهي متطورة جدا, وهذا الأكسجين الذي يبدع و ينظم الأفراد وتلك هي...الثورة الجزائرية " [3].

[1] فرانز فانون : معذبو الأرض ، ترجمة سامي ألدروبي و جمال أتأسي ، مراجعة عبد القادر بوزيدة ، دار القلم ، بيروت،لبنان، منشوراتANEP، الجزائر ، 2004 ، ص 73،74 .

[2] بلعباس (محمد) : الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر ، د.ط ، دار المعاصرة ، الجزائر ، د.س.ن ، ص 266 .

[3] عمراني : جان بول سارتر ، مرجع سابق ، ص 70 .

الفصل الثاني
التعذيب في الجزائر أثناء الفترة الإستعمارية

المبحث الأول: لمحة عن التعذيب و أساليبه

المطلب الأول : تعريف التعذيب .

المطلب الثاني : بعض أساليب التعذيب .

المبحث الثاني : مظاهر التعذيب .

المطلب الأول : طرق التعذيب .

المطلب الثاني : أمكان التعذيب .

المبحث الأول: لمحة عن التعذيب و أساليبه

يعد التعذيب انتهاكا خطيرا لحقوق الإنسان، حظره القانون الدولي حظرا كليا. و قد مثل رأس قائمة المسائل التي بحثتها منظمة الأمم المتحدة عند إرساء قواعد حقوق الإنسان باعتبار أن استخدامه يمس صميم الحريات المدنية و السياسية بدأ من اجتثاث العقوبات البدنية في الأراضي المستعمرة كأول تدبير اتخذته منظمة الأمم المتحدة منذ سنة 1949. فالقانون الدولي منع التعذيب و غيره من ضروب المعاملة أللإنسانية و المهينة التي لا يمكن قبولها مهما كانت الظروف .

اعتمد الجيش الفرنسي و قادته إستراتجية الحرب الشاملة في تعاملهم مع الشعب الجزائري ، و كان الهدف المنشود من وراء هذه الإستراتيجية الإسراع في القضاء على تلك المقاومة المستميتة التي أظهرتها مختلف فئات الشعب و على جميع الأصعدة للهيمنة الأجنبية .و قد ازداد إصرار القادة الفرنسيون على انتهاج كل أنواع القهر و الإبادة و التدمير دون مراعاة أي وازع إنساني أو ديني أو حتى حضاري .وأزداد هذا الإصرار و تجذر في الوجدان الفرنسي مدني كان أو عسكري ، حيث غدت يوميات و تقارير الفرنسيين لا تخلو دون سرد المذابح و الجرائم الفظيعة و الافتخار بها كما بقيت معالم الحرب الشاملة التي خاضتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضد الشعب الجزائري ماثلة بكل أوجهها، من إبادة للجنس البشري و طمس معالم المجتمع الجزائري العربية و الإسلامية ،و هدم لمؤسساته الدينية و الثقافية و شن الحملات العسكرية دون هوادة ضد القبائل الرافضة للاستيطان، و ما ترتب عناه من أعمال تعسفية كالنفي و الإبعاد و التهجير و الحبس .و قد كان قادة و حكام فرنسا من عسكريين و مدنيين الذين تولوا تسيير شؤون الجزائر الأداة الفاعلة في تنفيذ هذه السياسة الوحشية ، مكرسين كل طاقتهم من أجل تثبيت الاحتلال و ترسخ دعائمه وسنحاول في هذا الفصل الحديث عن وحشية الجيش الفرنسي في الجزائري الذي لم يدخر أي أسلوب لقمع الشعب وإخماد نار الثورة الجزائرية و تضييق الخناق عليها تناولنا في المبحث الاول تعريف التعذيب .

المطلب الأول : تعريف التعذيب

كانت المجتمعات البدائية تخضع لتأثير المعتقدات الدينية ، ووفقا لذلك كان المتهم تفترض فيه الإدانة ومن ثم كان التعذيب يجري في لحمله على الاعتراف وكان إثبات البراءة عبئا عليه ، ونظرا لشدة عقوبة اليمين الكاذبة ، فقد كان اليمين يعتمد أساسا على قيمة اليمين التي يحلفها المتهم مؤيدة ببعض التعاويذ الدينية ، و في كثير من الأحيان كان العقاب يعتمد على التحكيم الإلهي المتمثل في اتخاذ إجراءات ماسة بالحرية مثل التعذيب والتقاتل [1] ولقد اعتبر التعذيب

في **مصر القديمة** بأنه: إحدى الوسائل المشروعة توصلا للاعتراف المتهم [2].

وعند **اليونان** : كان أرسطو نفسه يرى التعذيب هو أحسن الوسائل للحصول على الاعتراف من المتهم[3].

في **عهد الإمبراطورية الرومانية :** نجد أنه في المرحلة الأولى من مراحل تطور القانون الروماني وحتى عصر الجمهورية لم يكن التعذيب معولا عليه كثيرا ، وقد سادت في تلك الفترة قاعدة عامة تحظر ممارسة التعذيب على أي شكل في إجراءات المحاكمة الجنائية ، متى كان المتهم حرا وبغض النظر عما إذا كان مواطنا أو غير مواطن كما نجد إن الاستجواب مع التعذيب لحمل المتهم على الاعتراف هو في جذوره نظام روماني و قد لازمت فكرة التعذيب اعتراف المتهم عند الرومان وكان التعذيب هو أنسب وسيلة للحصول على الاعتراف لاسيما في أواخر العصر الجمهوري و أوائل العصر الإمبراطوري وكان في البداية مقصورا على الأرقاء وأهل المستعمرات دون المواطنين الرومانيين، ثم لم يلبث في أوائل العصر الإمبراطوري أن امتد إلى المواطنين أنفسهم في جرائم الخيانة العظمى ثم صار يطبق في كل الأحوال [4].

[1] سلامه (محمد عبد الله أبو بكر) : جريمة التعذيب في القانون الدولي الجنائي و القانون الداخلي، د.ط ، المكتب العربي الحديث ، الإسكندرية ، د.س.ن ، ص 10.

[2] بكار (حاتم حسن موسى) : حماية حق المتهم في محاكمة عادلة في التشريع الجنائي الليبي و المقارن ،رسالة دكتوراه ،كلية الحقوق ، جامعة الإسكندرية ،1996،ص347.

[3] سلامه: المرجع سابق ، ص11.

[4] سلامه: مرجع سابق ، ص11.

في القرون الوسطى : استقر التعذيب في أوروبا كوسيلة للتحقيق ، واعتبر من النظم الأساسية في الإجراءات الجنائية ، وبلغ به الحد إلى أن تم تقنينه .

و قد شهد عصر لويس الرابع عشر صدور لائحة الإجراءات الجنائية في عام 1670التي نظمت التعذيب ، وقسمت الاستجواب إلى استجواب تحضيري و استجواب نهائي و في ظل الاستجواب التحضيري يعذب المتهم ثلاث مرات : (الأولى : قبل الاستجواب ، الثانية : أثناء الاستجواب ، الثالث : بعد الاستجواب) [1].

التعذيب في الإسلام : جاء الاتجاه العالمي لحظر التعذيب مستجيبا لأصول الشريعة الإسلامية الغراء التي حرمت التعذيب والإيذاء وحرمت ارتكابه،[2] وفي ذلك يقول المولى عز وجل :

"وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا"[3].

وقد نهى الرسول –«*صلى الله عليه وسلم*»–عن التعذيب في عمومه ، فقد روى أبو داود آخرون عن النبي – «*صلى الله عليه وسلم*»– أنه قال: " لا تعذبوا خلق الله " و كما روي عنه –«*صلى الله عليه وسلم*»–" ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا " ومما ورد في سيرة الصحابة –رضوان الله عليهم – إن عمر بن الخطاب عزل خالد بن الوليد وقال : "إن في سيف خالد لرهقا"،أي فيه شدة وإرهاق لكثرة قتله للأعداء ، كما انه مدح عمر بن العاص قائلا : "تعجبني حرب بن العاص ،إنها حرب و رقيقة سهلة ".

وقد أمر علي بن أبي طالب جنوده في حربه مع معاوية ابن أبي سفيان بالآتي : – " إذا هزمتموهم فلا تقتلون دبرا ، ولا تجهزوا على جريح و لا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، **ولا** تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دار إلا بإذن ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ، ولا تعذبوا النساء بأذى ، وإذا شتمنكم و شتمن أمراءكم فاذكروا الله لعلكم تعلمون"[4].

[1] المرجع نفسه ، ص12.
[2] المرجع نفسه ، ص17 .
[3] سورة الأحزاب، الآية رقم 58.
[4] سلامة: مرجع سابق، ص ص15 ، 16.

التعذيب اشتقاق حديث تقابله ثلاثة اصطلاحات قديمة : العذاب والبسط والمُثلة . [1] وقد استعمل الأولان في العصور الإسلامية بمعنى واحد يشير إلى إيلام الأسير أو المتهم على سبيل الانتقام أو الحصول منه على الاعتراف بشيء ما.[2]

عذب يعذب تعذيبا غيره:أوقع به العذاب، الشيء:حبسه . فلانا عن الشيء:منعه[3].

التعذيب شرعا: يعرف الدكتور عمر الفاروق الحسيني التعذيب الى القول أن مفهوم التعذيب لا يرتبط بجسامة الأفعال التي يأتيها الجاني و انما يرتبط بما تحدثه هذه الأفعال من أثر في نفس الخاضع لها.

عرف التعذيب بأنه المعاملة اللاانسانية التي احتوت المعاناة العقلية التي تفرض على المجني عليه بقصد الحصول على المعلوات أو الاعترافات أو لتوقيع العقوبة و التي تتميز بحالة خاصة من الاجحاف و الشدة [4].

و قد عرفت المادة الأولى من اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة جريمة التعذيب فقررت أنه يقصد بالتعذيب : (أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد ، جسديا كان او عقليا ، يلحق عنه عمدا بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص ، أو من شخص ثالث ، على معلومات او على اعتراف ، أو معاقبته على عمل ارتكبه أو يشتبه في انه ارتكبه ، هو أو شخص ثالث أو تخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث ، أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أيا كان نوعه ، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص آخر يتصرف بصفته الرسمية ، ولا يتضمن ذلك الألم أو العذاب الناشئ فقط من عقوبات قانونية أو الملازم لهذه العقوبات أو الذي يكون نتيجة عرضية لها) [5].

---

[1] حسني (محمد علي) : تعار يف حول التعذيب ، http://iraqmemory.org ، 2013/04/16 ، 23:56

[2] بن هادية (علي) ،(بلحسن) البليش و آخرون : معجم الطالب ، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1991 ، ص658.

[4] رخا (طارق عزت): تجريم التعذيب و الممارسات المرتبطة به ، دراسة مقارنة في اتلقانون العام و القانون الوطني و الشريعة الاسلامية، د.ط ، دار النهضة العربية ، مصر، 1999، ص ص 46،47.

[5] سلامه: مرجع سابق، ص5.

كما عرف نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية جريمة التعذيب في المادة السابعة الخاصة بالجرائم ضد الإنسانية في فقرتها الثانية بند هـ حيث ذكرت أن التعذيب يعني : (تعمد إلحاق الم شديد أو معاناة شديدة ، سواء بدنيا أو عقليا ، بشخص موجود تحت إشراف المتهم أو سيطرته ، ولكن لا يشمل التعذيب إي ألم , معاناة ينجمان فحسب عن عقوبات قانونية أو يكونان جزءا منه أو نتيجة لها) [1].

و عرف من طرف الكاتب الفرنسي "أيميه سيزر": الاستعمار فقال:" هو عملية اغتصاب و لكن أيضا لا يكفي يجب أن أقول عملية إبادة شعب بأسره"[2]. وهذا السفاح الاستعماري الشهير "المارشال بيجو" * يعرف الاستعمار فيقول:" ان الاستعمار هو الفتح البربري الكبير،وهو أشبه شيء بمرور قوافل الرحالة الذين يهجمون على بلد ما فيقتلون و يذبحون و ينهبون كل شيء"[3] أما الأستاذ "فرانز فانون":فانه يقول عن التعذيب:" ليس التعذيب خطأ استعماري يمكن أن يوجد و يمكن أن لا يوجد داخل النظام الاستعماري ، كلا فالاستعمار يقضي و يستلزم وجود التعذيب و التقتيل و كل أنواع الوحشية. إن التعذيب هو الشكل الطبيعي الذي تتخذه كل علاقة بين السيد المحتل و بين العبد الذي سلط عليه الاحتلال)[4].

و هذا أيضا الكاتب و المناضل الفرنسي،"فرانسيس جانسون" عندما طلب منه التعليق على ما ورد في اعترافات الجنرال "بول أوساريس" في كتابه "أجهزة خاصة" رد قائلا: (إن مسألة التعذيب مرتبطة بالمسألة الاستعمارية)[5].

---

[1] نفس المرجع : نفس الصفحة

*الجنرال بيجو (بوجو توماس)، تولى بيجو الحكم في الجزائر في 29ديسمبر 1840 إلى 29يونيو .1847 سلك خلال سنوات حكمه سياسة القهر والعنف والإبادة والتدمير والتهجير والنفي في إطار الحرب الشاملة التي مارسها تجاه الجزائريين.

[2] الخطيب (أحمد) : الثورة الجزائرية دراسة و تاريخ ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان 1958، ص 159.

[3] الخطيب : المرجع نفسه ،ص160.

[4] .فرانز فانون : مرجع سابق ، ص25.

[5] بزيان(سعدي) : جرائم فرنسا في الجزائر، د.ط، دار الهومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ،2002 ، ص13.

***اللجنة الإفريقية:**عينت الحكومة الفرنسية هذه اللجنة بتاريخ 1833/07/07،و سافرت إلى الجزائر في 28 أوت 1833، وعادت إلى فرنسا في 19 نوفمبر من نفس السنة ، و كان رئيسها الجنرال "بوني" وكاتبها بيسكاتوري النائب في البرلمان، و كان هدفها جمع المعلومات التي تنير الحكومة عن حالة الجزائر الحاضرة و مستقبلها ، و زارت خلال جولتها الجزائر العاصمة، متيجة ، بليدة،وهران،عنابة ، وأرزيو، (أنظر تفاصيل أكثر الدكتور أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر 1982).

كل هاته التصريحات السابقة تدل على أن التعذيب متضمن في الاستعمار و مرتبط به ارتبطا وثيقا و على أساسه لم يدخر الاستعمار الفرنسي في استعمال الوسائل و الأساليب المشروعة و غير المشروعة من أجل قمع الجزائريين حتى و إن تطلب الأمر إبادتهم جميعا و هي الأساليب التي شرع في تطبيقها منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر و قد أعد بعضها تقرير اللجنة الإفريقية * التي أرسلتها حكومة باريس إلى الجزائر سنة 1833 للتحقيق في أخبار الاصطدامات السياسية و العسكرية بين الجزائريين و الجيش الفرنسي و هو التقرير الذي استنكرت فيه اللجنة تصرفات الجيش الفرنسي في الجزائر بهذه العبارات:" لقد حطمنا ممتلكات المؤسسة الدينية ، و جردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، و أخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض.. و ذبحنا أناسا كانو يحملون عهد الأمان... و حاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم ..لأنهم كانو شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين) [1] .

[1] سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، ج2 ، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر1983، ص18.

المبحث الثاني: أساليب التعذيب

المطلب الأول : وسائل التعذيب

و نذكر فيه بعض الأساليب التي استعملتها فرنسا لبسط نفوذها على الجزائر و جعلها قطعة من فرنسا مبررة أي وسيلة لتصل إلى الهدف المنشود فقد أباحت كل الأساليب و جل الوسائل ، حاربت شعب أعزل دفع الثمن بالنفس و النفيس ، أحرقت مداشر برمتها وأبديت اسر بأكملها و نفيت عائلات ودنست أعراض و شوهت أجساد دفع الثمن إنسان ، حيوان ، أرض ، مياه لطخت بالدماء سماء عكرت بغازات سامة عقول سممت بأفكار كاذبة حرب شملت كل الأطراف.

الإبادة الجماعية :

كانت الطريقة التي اعتمدتها سياسة الاحتلال الفرنسي لإبادة الجزائريين أسلوبا استعمل فيه كل الوسائل الممكنة التي تكفل لها إخلاء الأرض من عنصر الأهالي الجزائريين كي يحل محله العنصر الأوروبي ، و لأداء هذا الغرض أعطى سفاحي هذه الجرائم صورا دقيقة و مفصلة على ما ارتكبوه في حق الجزائريين.

فهذا المارشال "سانت أرنو" * يصف إحدى مواقع الإبادة في رسالة له :" ان بلاد بين مناصر رائعة حقا وهي إحدى المناطق الغنية التي شاهدتها في إفريقيا فالقرى و المساكن متقربة جدا... لقد احرقنا و دمرنا كل شيء آه، الحرب !الحرب !كم من نساء و أولاد لاجئين الى ثلوج الأطلس قضوا من البرد و البؤس" و يقول "بن" واصفا إحدى المجازر:" لقد كانت المذبحة رهيبة فالمساكن و خيام الأجانب منتصبة في الميادين و الشوارع ، مغطاة بالجثث" و يستمر في قوله: " و بعد الاستيلاء تبين أن عدد الضحايا بلغ 2300 قتيل بين امرأة و طفل أما الجرحى فقد كان عددهم عديما" [1].

[1] الخطيب : مرجع سابق ، ص 162.

* سانت أرنو : ولد بباريس، اسمه الكامل أرنو جاك لوروا ", ARNAUD Jacques le Roy" و عرف أيضا بـ :أشيل لوروا لسان أرنو "Achilles le Roy de Saint-Arnaud "، كان والده محاميا ثم أصبح نائبا في برلمان باريس ، و بعده Prefet للإمبراطورية سنة .1809 جندي فرنسي، ومارشال فرنسا .عمل وزيراً للحربية حتى حرب القرم حين أصبح القائد العام لجيش الشرق. وكان من أكثر الضباط العسكريين الفرنسيين الملازمين ل : بيجو والمقربين منه.

القوانين الاستثنائية :

و لأجل قهر الجزائريين و تعذيبهم أنشأت قوات الاحتلال الفرنسي حملة من القوانين خاصة بهؤلاء الذين أطلقت عليهم الأهالي، قانون الأهالي (الأندجينا) والذي عرفه الدكتور" أبو القاسم سعد الله" : " بأنه مجموعة من القرارات و الإجراءات الاستثنائية أصدرها الفرنسيون لقهر الشعب الجزائري و إبقائه تحت سلطتهم.[1]

و كان الحاكم العام"ج.فيري" قد كتب في عام 1892 ما يأتي : " إن الحجز و المسؤولية المشتركة هما اللذان في مناطق الأحراش و الغابات من أروع العقوبات التي يحس معها بمرارة و بشدة وطأة قبضة القائمين على الأمر[2].

محاربة التعليم :

حاولت فرنسا قصارى جهدها جعل الشعب الجزائري شعب أميي جاهل يجهل أدنى مبادئ الحياة فطبقت فيه قوانين جائرة تحرمه فيه من حقه الإنساني المعروف التي لا طالما رفعت راية الحرية و نددت بأن مجيئها رفع المستوى الاقتصادي والثقافي و لكن في الحقيقة رفع مستوى من يخدم صالحها فحاربت العلم و تعليمه بشتى الطرق من غلق دور التعليم و خلق مشاكل ومضايقات و وصلت بسن قوانين زجرية تمنع التعليم إلا برخصة لان في الوقت التي وظئت فرنسا الجزائر كانت الجزائر تزدهر بالفنون والعلوم و هذا الكاتب الفرنسي "بولارد" في كتابه "تعليم الأهالي في الجزائر" يذكر قائلا: " كانت الجزائر فيما مضى تظم معاهد علمية عظيمة الشأن ، فالفلسفة و الآداب و العلوم و الطب و قواعد اللغة و القانون الإسلامي و علم الفلك كل هذه العلوم كان يقوم بتدريسها أساتذة كبار من الجزائريين أنفسهم . كما كانت هناك مدارس عديدة متخصصة في تعليم القضاء الشرعي و العلمي من خريجي تلك المعاهد . [3]

[1] سعد الله: مرجع سابق، ص90

[2] بوعزيز(يحي) : السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 183-1954،د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995، ص132،133 .

[3] بوعزيز : المرجع السابق ، ص 78 .

الاستيطان :

أن عملية سلب الأملاك بكل أنواعها و اصدرا القرارات لاستيلاء عليها. كان يهدف من ورائه إلى تفقير الجزائريين و إجبارهم على الهجرة و ترويضهم سياسيا عن طريق الاقتصاد و الحصول على الأملاك للأوربيين (منحة و بيعا) الواردين على الجزائر بقصد الاستيطان و الاستعمار .[1]

القمع:

بين الوسائل التي استعملها الاستعمار الفرنسي في قمع سكان الأرياف الجزائرية ، التي تتجلى فيها أبشع صور القمع للاستعمار الفرنسي و أحط أنواع الانتقام الوحشي و أحقر ما توصل إليه العلم الحديث في وسائل الفتك و الدمار فالأرياف الجزائرية هي التي تتفنن فيها قادة فرنسا الاستعماريين و تدربوا فيها على استعمال كل الوسائل التي جربوها لإبادة الشعب الجزائري أفرادا و جماعات برا ، وجوا و ذلك لان الأرياف التي يعيش فيها الشعب الجزائري عيشة الحرية الحقيقية بعيدا عن النفوذ الفرنسي[2].

الأسلاك الشائكة:

عملت السلطة الفرنسية على منع شرارة الكفاح المسلح من الانتشار و الامتداد إلى داخل كل من تونس و المغرب لما لهاته الحدود الشرقية و الغربية من أهمية استراتيجية ، تعود بالفائدة على البلاد فأنشأت خطي شال و موريس عام1956، بأمر من وزير الدفاع الفرنسي ANDRE MAURICE و اكتملت الأشغال في عام 1957 ، و يمتد هذا الخط من الساحل الشرقي لمدينة عنابه إلى جنوب مدينة تبسة مرورا ببئر العاتر، شيحا ني، الذرعان حتى نقرين جنوب تبسة ، وكان طول الخط 370/كم وفي نفس الوقت أقيم خط مماثل على الحدود الجزائرية المغربية يمتد من بورساي العربي بن المهيدي قرب السعيدية إلى بشار جنوبا على مسافة تقدر بحوالي 700/كم. مزود بقنابل نفاثة مضادة للأفراد و بتيارات كهربائية عالية السرعة

[1] سعد الله: مرجع سابق، ص77.

[2] بومالي (أحسن) : إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956 ، د.ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار ، الجزائر ، د س ن، ص 322 .

و أسلاك شائكة تؤكد أنه من اجتاز هاته الأسلاك فلا يمكن له العيش و دائمة الحراسة سواء كانت ليلا أو نهارا [1] .

منظمة اليد الحمراء :

عمد أوربيو الجزائر إلى أسلوب آخر لمحاولة قمع الشعب الجزائري لتحقيق أغراضهم الاستعمارية فقاموا بتأسيس منظمة اليد الحمراء الإرهابية عام 1956 على نطاق الشمال الإفريقي كله ، و استحدثوا لها فروعا كثيرة في مختلف بلدان أوربا الوسطى و الغربية و ذلك لمقاومة حركات التحرر الوطني في المغرب العربي و إدخال الرعب و الفزع في نفوس مختلف الأفراد و الهيئات السارية التي تؤكد فكرة الاستقلال و الحرية لشعوب المغرب .

أعلنت هذه القوة الإرهابية أنها ستنتقم بجميع الوسائل لكل عملية فدائية تستهدف الأوربيين من رجال الأمن، كما أعلنت أن واحدا من الأوربيين يساوي مائة من الجزائريين . [2]

استخدام الأسلحة الفتاكة و المحرمة دوليا:

استباح الجيش الفرنسي كل أنواع الأسلحة في حربه ضد الجزائر و تطورت هاته الأنواع من الأسلحة بتطور الثورة فبعد إن كانت مقتصرة فقط على الطائرات الاستكشافية و الدبابات و المصفحات أصبحت تستعمل في عام 1956 ، البواخر والطائرات المقاتلة و المقنبلة و العمودية بنوعيها ، ولم تقتصر على هاته الأسلحة بل استعمل أسلحة ممنوعة ومحرمة دوليا و هي "النبالم" [3]وهو سلاح تدميري شامل ، ولكن يمكن في نفس الوقت تحديد مساحة مفعوله ، وهو سلاح يتيح للمستعمرين إن يحرقوا كل ما على الأرض ، ولذلك فهو المثل الأعلى لأسلحة الدمار الشامل التي كان يحلم بها "بيجو" و "سانت أرنو" و كل

[1] سلسلة الملتقيات :الأسلاك الشائكة المكهربة (دراسات و بحوث ملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة و الألغام)، ، الغالي الغربي ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الأبيار (الجزائر) ، ص ص ، 36،37

[2] قناطري (محمد) : الثورة الجزائرية و قواعدها الخلفية بالجهة الغربية بالجهة الغربية و العلاقات الجزائرية المغربية إبان ثورة الجزائر، مجلة الذاكرة ، العدد 3 ، سنة 1955، ص124 .

[3] بوعزيز : مرجع سابق ص، 298 .

غزاة الاستعمار الفرنسي ، فكم من مجاهدين صاروا رمادا بهذه المادة و آخرين شوه والى الأبد نذكر منهم على سبيل المثال : " الهادي خماشي" و كافي عمار" و " ارزقي كريم" شقيق " كريم بلقا سم" [1]

[1] الصديق(محمد الصالح) : كيف ننسى و هذه جرائمهم ،الطبعة الأولى ، دار هومه ، الجزائر ، 2009 ، ص223.
أنظر الملحق رقم (20) الصفحة 111 .

المبحث الثاني : وسائل و أماكن التعذيب

إن التعذيب في الجزائر كان يتطور من حين لآخر ، و تتنوع وسائله ، و كيفياته ، تبعا لتطور الذهنية الاستعمارية في الجزائر و تطور حقد المستعمرين على الجزائريين ، وتوغلهم في الدناءة ، و نتيجة لاكتشاف المستمر لوسائل التعذيب و كيفياته ، فنقدم في هذا المبحث من بين تلك الوسائل و الكيفيات إلا القليل منها ، الذي ارتفع عنه الستر ، وظهر للعيان ، وفهمه الفكر ، و خطه القلم ، إلى المتعارف و التي في الغالب تعددت و تنوعت بتعدد و تنوع جلاديها ، لان الجلادين كانو يتنافسون في اختراع الوسائل و التباهي بها ، حيث يعتبرونها وسائل ترفيهية تروح عن أنفسهم و يتلذذون بمشاهدة تألم المعذب و تلويه من شدة الوجع ، فقد كانوا يمارسون هاته الوسائل في أي الأماكن التي تحلوا لهم فخصصوا من وطأتهم أرض الجزائر أماكن لممارسة التعذيب فبنو السجون و أنشئوا المعتقلات و هيئوا المحتشدات ، فكل شبر من الجزائر شهد التعذيب فلم يتركوا كهوفا و بيوتا ولا أي مستقر إلا و مارسوا فيها التعذيب ، والذي ينتزع الفخر هو انه كلما تضاعف التعذيب و تسارعت اختراعات وسائل التعذيب و التنكيل لهذا الشعب ، كلما ارتفعت معنوياته و جلد صبره و قوي إيمانه بأن الفرج قريب و كلمة الحق ستعلو عما قريب في سماء بلاده .

المطلب الأول : وسائل التعذيب

التعذيب بالكهرباء :

تعتبر هات العملية من أشنع العمليات التعذيبية التي تسلط على الفرد , حيث لا تبقي أثرا باديا للعيان إذا عولجت بقياها , وتقع هذه العملية ليلا , يمدد المتهم عاريا على طاولة وتقيد رجلاه و يداه ثم يفرغ عليه من الماء لتعميم التيار الكهربائي عند إرساله , و هناك يسلط التيار على الأعضاء الحساسة من جسم الرجل أو المرأة المعذبة وهي , الأذنان و اللسان و الأعضاء التناسلية و النهدان و تبلغ أللآلام درجة من الشدة تجاوز كل وصف , و يرى الإنسان يتلوى ويتعذب من شدة الصدمة الكهربائية رغم القيود .[1]

التعذيب بالماء :

و يمكن تقسيم هاته العميلة إلى ثلاث أصناف :

الصنف الأول :

يدخل قمع في البطن و يفرغ فيه الماء حتى ينتفخ البطن انتفاخا فاحشا فإذا امتنع المعذب من الشرب , يغلق منخره حتى يختنق , فيقبل الماء فعندما يمتلئ البطن ماءا و ينتفخ يقفز احد الجلادين و يقع مستوي على رجليه فوق بطن المعذب فيتطاير الماء من الفم و من بقية المخارج الإنسانية .

و هناك نوع آخر في هذا الصنف من التعذيب و هو : إدخال أنبوبة في الفم متصلة بالحنفية و عندما يبلغ البطن من الانتفاخ أقصاه تكرر العملية المذكورة بصورة عكسية وهي الإفراغ من البطن .

الصنف الثاني:

تختلف كيفيات التعذيب بالمغطس بحسب اختلاف الجلادين.

ففي " فيلا كرا" بشاطئ بان رومان : يجرد المعذب من ثيابه في الليل حين اشتداد البرد و يلقى في مغطس ملئ بالماء و يبقى رأسه في الماء حتى يغص .

[1] الصديق : المرجع السابق ، ص 142.

و في "فيلا سوزيني" يدخل الشخص في جراب و يغرق في المغطس حتى يقر أو يغطس , وهذه الكيفية تستعمل في تعذيب البنات خصوصا .

يجلس المعذب جانبا و توضع تحت ركبتيه عصا و يكف ذراعاه تحت العصا ثم توثق ركبتاه و هناك يدخل المعذب في المغطس , وتوضع طرف العصا على حافتي المغطس , فيصير المعذب معلقا من ركبتيه و يديه على العصا و هي كالمحور و يتأرجح تحت الشخص فيغطس رأسه في سائل قذر متعفن كلما أنكر.[1]

التعذيب بالقمط :

و تقع هاته العملية في عمارة "كراند تيراس " بشاطئ دومولان بالعاصمة يربط جسم المعذب كما يربط الرضيع المقمط و يعلق من رجليه بحبل يدلي بعجلة من الطابق الأول إلى ماء البحر فيبقى غارقا عدة ثواني تمر عليه كأنها قرون ثم يخرج و هو يرتعد من البرد , و يستأنف الاستنطاق ثم تكرر هاته العميلة حتى يقر المعذب أو يفقد كل الشعور أي الموت لا محال .

التعذيب بالنار :

يجلس المعذب على كرسي يوثقه الجلادون و هو عاري الصدر ثم ينفخ الجندي الذي يستنطقه على عينيه دخان ثم يطفأ لفافته المشتعلة على صدره ونهديه .

يوثق المعذب ممدودا على طاولة العمليات و هو عاري الصدر و يبلل بالبنزين و يضر فيه النار من شدة هذا الألم يثب حتى يبلغ السقف أحيانا تنتج عليه حروق جسيمة .

يقيد المعذب من خلف وتحرق أظافره و أطراف أصابعه بالكبريت ينتج عن ذلك آلاما يعجز اللسان عن وصفها .

تشد الرجلان عاريتين وتوضع تحتها شمعة موقده , و قد خلفت هاته العملية في أرجل المعذبين ثقوبا غائرة .

[1] المرجع السابق ، ص 144.

التعذيب بالحديد :

يحرق بالمكواة صدر المعذب و ذرعاه و أصابع رجليه .

يجلس المعذب على كرسي عاري الصدر و الظهر فيعظه أحد الجلادين بالكلاليب و يقشط اللحم من الظهر و النهدين والشفتين .

التعذيب بالحبل :

عملية الجراب : يوثق المعذب من رجليه و يديه مجموعة كالماشية ثم يعلق و يرفع بالعجلة نحو السقف و هنا يطلق المعذب فيهوي إلى الأرض واقعا رأسه و ظهره كالجراب و تكرر هاته العملية حتى يموت ضحية ثباته وجنون معذبيه .

عملية الخنق : يشد العنق بحبل دقيق بعد إن يوثق على الكرسي ثم يجذب اثنان من الجلادين طرفا الحبل حتى يغص المعذب أو يموت شنقا .

الربط على الأرض :

يمدد على الأرض الباردة الرطبة في بعض الغيران و الكهوف بضاحية العاصمة و هو على هيئة الصليب و تشد رجلاه و يداه بأوتاد مضروبة في الأرض ويترك أيام و ليالي في الظلام الحالك و الوحدة المطلقة , و قد جن الكثير من اللذين سلط عليهم هذا النوع من التعذيب . [1]

وهناك وسائل التعذيب النفسية هي من أشد الأنواع التي تسلط على المعذب حيث تفنن الجلادون في ممارستها خصوصا على ذوي الشهامة و الكرامة والغيرة , فان الجلادين يحاولون استنطاق المتهم بوسائل التعذيب المختلفة , وان لم يقدروا على انتزاع الاعتراف أحضروا , زوجته أو ابنته أو أخته أو أحد محارمه فيخيروه بين الاعتراف أو اغتصاب أحد هذه المحارم تحت بصره و سمعه , و هذا النوع من التعذيب دلهم عليه أحد الخونة السفلة اللئام و كشفوا لهم أهمية هاته العملية في حمل المتهم على الاعتراف و بينوا لهم

[1] المرجع السابق , ص ص 145- 148 .

مكانة العرض لدى الفرد العربي , وخاصة المسلم الجزائري , الذي يضحي بكل شيء إذا رأى عرضه يتعرض للتلوث و الدنس .

يحضر الجلادون أقارب المتهم و يجبروه على الرقص عاريا أمامهم ثم يمثلون به أدوار مخجلة , تفوق كل التصور .

وضع أحد وجهي الآلة المغناطيسية على الجهاز التناسلي و الآخر على الرأس و تتوالى الضربات و هو يتلوى و يتألم و هم يضحكون و يسخرون و ينكتون.

التعذيب باللكانة (المنجر) :

و هاته العملية مثل نجارة اللوح توضع باللكانة , على جزء من الجسم , ثم يحرك إلى الأمام و إلى الخلف , كما بفعل تماما عندما يصقل اللوح , ثم يوضع الملح على الجراح الناتجة عن ذلك .

و هناك عدة أنواع من التعذيبات المسلطة و هذا النوع مثلا يقوم الجلادون يوضع ستة إلى ثمانية متهمين في برميل من الخمر الذي لا يسع إلا لثلاثة أو أربع و في البرميل فتحة تقدر ب 60 سنتم , و في بعض الأحيان تغلق بخرقة يمكثون فيها من عشرين يوما الى ثلاثين يوما و يخرجون للاستنطاق و فور خروجهم من البراميل يجبرونهم على حمل شيء ثقيل حتى يسقط جثة هامدة .

من بين العذاب يخيط الأصابع و الرجلين بالخيوط الغليظة ثم لما لا يعترفوا بشيء خاطت_ لكل واحد_ فخذيه فرجليه .

يجبر المشبوه على تركيز قدميه على لوحة مليئة بالمسامير و هذا بعد تشريح اليدين والرجلين .

تقطع الأذن و بعض الأعضاء الحساسة بالموسى بطريقة يصاحبها الاستنطاق .

يعلق المشبوه في شجرة و رأسه إلى الأرض و يترك على هذا الوضع مدة طويلة حتى يغمر وجهه الدم و يتحقن فيموت .

صب البنزين و إضرام النار فيهم ثم يؤمرون بالجري و في قرية بابار في شهر ديسمبر من سنة 1959قتل عشرين شخصا بهاته الطريقة .

فقؤ العينين (بالبايونات) و قد كان عدد كبير من المدنين ضحية هذه العملية و هاته جريمة أخرى في (سيلانس) منطقة خنشلة بالأوراس أعتقل الجنود الفرنسيون الزهراء عدة مرات حول زوجها الذي كان مسئول شعبي لتلك الناحية و لما نفت على ان زوجها لم يكن له اي علاقة و اي مسؤولية بما اتهموه و يئسوا من كل المحاولات أخرجوها الى (البطحاء) و ربطو يدها و رجلها اليسرى في سيارة (جيب) و يدها ورجلها اليمنى في سيارة (جيب) اخرى ثم انطلقت كل سيارة في اتجاه معاكس فتمزقت الزهراء شطرين .

تعذيب الأطفال الذين يعملون آبائهم و أخوانهم في الثورة و يجرون عليهم أصناف من التعذيب والاستنطاقات القاسية على الرغم من صغر سنهم و عندما يئسوا منهم يرمونهم في قبو أو بئر و يتركونهم هناك أيام وليالي بلا أكل ولا شرب حتى يقضوا نحبهم . [1]

و لقد لخص يحيى بوعزيز هذه الطرق و الوسائل بمايلي :

إطلاق الكلاب على المساجين لنهشهم , دق المسامير بالأجسام , يسلخ جلود الأحياء , وطلييها بالأملاح , و خلع الأظافر و الأسنان بالكلاليب , نزع الأصابع و الأذان و النهود و الأعضاء التناسلية , بالأمواس و السكاكين و حرق الجفون بالنار, و فقئ العيون , وحرق شعر الرأس و الجسم , إجلاس الناس على رؤوس الزجاجات المكسورة و المسامير وجرهم على أرضية مشوكة بالمسامير , طلي الجسم بالزفت الحار و هتك أعراض النساء و اغتصاب الفتيات بحضور الأزواج و الآباء و الأخوة و الأخوات والأقارب , و الضرب بالسياط و العصي حتى الموت أو فقد الوعي , و الرفس بالأرجل , وإدخال مقابض الفئوس والعصي في الأدبار , و ربط المعذبين إلى سيارتين متعاكستين في الاتجاه ليقطعوا أنصافا و أطرافا و إرغام الكثيرين على حفر قبورهم و دفن أنفسهم إلى الرقبة أحياء , وكنس الساحات العمومية و الطرقات بالألسن و الزج بالعشرات في الآبار و غلقها عليهم حتى الموت , حشد عدد كبير في أقبية و ملئها بالماء و تركها تتعفن أجسامهم و تعليق البعض بالنار , و بقر البطون الحوامل و إرغام الأسرى على أكل وشرب المواد السامة , والقتل الجماعي لسكان القرى و ألمشاتي و دفنهم في مقابر جماعية بالعشرات و ترك الكثير منهم في العراء للوحوش الضارية , رمي الناس في الحفر و الخنادق الكبيرة و التبول عليهم و التخلص من فضلاتهم عليهم , رمي الأسرى من الطائرات الحوامة ليسقطوا على الأرض قتلى أو مهشمي الأجسام [2] .

[1] المرجع السابق , ص ص 152، 148 .
[2] بوعزيز(يحي): الثورة في الولاية الثالثة (1962_1954) ، د.ط ، دار الآمة ، الجزائر، 2004 ، ص ص 198،199 .

ومن الأساليب المحبذة , لدى هؤلاء الجلادون , التعذيب بواسطة النار , وذلك بعد شد وثاق السجين و تمديده على طاولة و هو عاري , وتتم هذه الطريقة أما بتوجيه فوهة آلة اللحام إلى صدر السجين أو بطنه لتبدأ عملية الحرق , وتتكرر العملية في أماكن أخرى من الجسم , و من الطرق التي تستخدم فيها النار , تسخين القضبان الحديدية الى درجة الاحمرار ثم إدخالها في فم السجين ليموت بطريقة لم تتوصل إليها حتى الطرق النازية [1]

"كان ضربات بالدبوس على النقرة , لكمات , ماء يبتلع بالقوة , تعليق بالأذرع و الأرجل ...كهرباء في الأصابع وعلى الأذن ... المغطس ... ضرب بالسياط على أخمص القدمين و على الأجزاء الجنسية ...كهرباء في الأجزاء الجنسية ...و حين ينتهون من ذلك يغرون سكينا بين الكتفين..." . [2]

[1] خلاصي (علي)، أساليب التعذيب والتنكيل التي مارستها فرنسا ضد الشعب الجزائري(1954-1962) ، مجلة التراث، العدد 7،نوفمبر 1994 ، باتنة ، ص 198 .

[2] سيمون (هنري بيار) ، ضد التعذيب في الجزائر ، ترجمة : بهيج شعبان ، دار العلم للملايين ،مصر 1957، ص ص 54 . 55

انظر الملحق رقم (21) الصفحة 112.

المطلب الثاني : أماكن التعذيب

كانت عمليات التعذيب و الاستنطاق تجرى في أماكن يتم اختيارها بدقة و بمواصفات معينة, و منها على سبيل المثال , أن تكون هذه الأماكن بعيدة عن أعين الناس و غير مرئية ,حتى في داخل هذه الأماكن , فان الغرف المخصصة للاستنطاق و التعذيب , يجب ان تكون محاطة بعدد من الغرف الفارغة و المهملة , وأن تكون جدرانها مغلقة بمواد عازلة للصوت .[1]

أما عن الأماكن التي أختارها أعضاء هذا الفريق , لتكون بمثابة مخابر التي يجرون فيها تجاربهم على ضحاياهم , ففي غالب الأحيان مقرات كتائب الفرقة العاشرة للمظليين المنتشرة في ؟أحياء مدينة الجزائر , زيادة على ذلك المقرات الحكومية التي تم استيلائها , بالإضافة إلى العديد من المدارس و الملاعب والثكنات العسكرية و مزارع المستوطنين هذا عن مدينة العاصمة وضواحيها , أما عن خارج هذا الحيز الجغرافي ,ذلك فان السجون و مراكز الاعتقال و مراكز العبور و الفرز و مقرات الشرطة و الجند رمة و المخابرات كانت المكان المفضل لممارسة التعذيب و الاستنطاق [2]

و على غرار ما ذكر من أساليب التعذيب خلال قرن وربع , لم يترك مكنا من أرض الجزائر الا ومارس فيها شتى أنواع طقوس العذاب ضد الشعب الجزائري , فأرتكب أبشع الجرائم و تفنن وتلذذ بالاغتصاب و هتك الأعراض , كما نفى و هجر العائلات و أقام العديد من المذابح الجماعية بدون محاكمة و بمجرد الاشتباه و كانت هي السبب في انتشار أمراض فتاكة و مجاعات التي قضت على الباقي من السكان .[3]

فلم تبقي على الأطفال الرضع ولا على الشيوخ الركع و لا على المواشي الرتع , أبادت كل شيء ينبض بالحياة لم تسلم بقعة ولا شبرا من جغرافية الجزائر الشاسعة استنفذت حتى الصحراء و كرستها لعمليات محرمة دوليا والتي خلفت فيما بعد عدة أثار جسيمة على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للفرد .

[1] خلاصي ، مرجع سابق ، ص198 .
[2] الغالي (غربي) : فرنسا و الثورة الجزائرية (1954-1958) دراسة في السياسات والممارسات ، د.ط ، الجزائر 2009 ، ص113.
[3] رماضنة ، مرجع سابق ، ص103 .

السجون :

لم يترك الاستعمار الفرنسي مكانا من ارض الجزائر إلا وتفنن في ممارسة مراسيم التعذيب بكل حذافيرها انتهاك الحرمات , القتل , الحرق , الاغتصاب, الهجر النفي , الأسر , السجن , الذبح الغطس , التشويه , السلخ ...كل ضيعات المعمرين , مئات المدارس , كذلك الثكنات والمراكز العسكرية كلها تحولت إلى مراكز التعذيب, تمارس فيها السلطات الاستعمارية أبشع صور التعذيب ضد الموقوفين من الجزائريين .[1]

السجن هو بناء مخصص للمنحرفين ، يتميز بهندسة معمارية تتناسب مع المعاقبين من أفراد المجتمع ويبنى عادة بالإسمنت المسلح وتوضع على نوافذه شبابيك حديدية وتصنع أبوابه من صفائح حديدية سميكة ,ولا يدخل هذا البناء المخصص إلا من ارتكب جرما أو مخالفة اقتصادية أو قتل نفسا وحكمت عليه المحكمة بعقوبة سجن لمدة زمنية تتناسب والمخالفة التي أرتكبها,بناء على مواد قانونية [2] .

المحتشدات:

يمكن تعريف المحتشد بكونه مستوطنة غير طبيعية تضم وطنيين غير مدانين قضائيا، تحيط بهم الأسلاك الشائكة، ويحرسها جنود فرنسيين[3]. و في كتاب ذكريات المعتقلتين لمحمد الطاهر عزوي يعرف المحتشد : " بأنه عبارة عن مكان واسع من الأراضي الجرداء الخالية تمام من الأشجار ، يقع قرب ثكنة الجيش الفرنسي ، ومحاط بأسلاك شائكة مجهزة بأجهزة إنذار تعلم جنود الحراسة عند لمس الأسلاك من طرف أي شخص و على زوايا المحتشد توجد أبراج عالية للحراسة يتناوب عليها جنود فرنسيون على مدى أربع و العشرين ساعة ، و هي مجهزة بمدفع رشاش و أضواء كاشفة قوية تسمح للحراسة بالمراقبة ، وكشف أي تحركات مشبوهة " . [4] و يعرف " علي كافي " يعرفها على أنها : ((كانت عبارة عن سجون في العراء ، ويرحل إليها سكان الجبال – أبناء الريف– و يحتشدون في مناطق تحت رقابة شديدة بهدف عزل الجماهير الشعبية عن جيش التحرير الوطني و تضييق الخناق عليه بحرمانه من المال و التموين)) .

---

[1] مجلة أول نوفمبر ، العدد 158-157 ، السنة 1418ه - 1997 م ، ص ص 21، 22 .
[2] زبير (رشيد) ، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962) ، د.ط ، دار هومه ، الجزائر، 2005، ص143 .
[3] رماضنة : مرجع سابق ، ص 197 .
[4] عزوي (محمد الطاهر) : الثورة الجزائرية أمجاد و بطولات ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر الإشهار، الجزائر ،1996 ، ص 36 .

إن فكرة تهجير السكان من قراهم و تميعهم في مراكز و محتشدات كبيرة تعود إلى بداية الثورة ، فقد تم إنشاء أول محتشد في منطقة باتنة منذ شهر 1954 . [1]

وقد بلغ عدد المحتشدين 740 ألف محتشد في عام 1958، و في عام 1959 قد تصاعد إلى مليون و في عام 1960 وصل إلى غاية مليون ونصف محتشد و ارتفع إلى أعلى مستوياته اثر إعادة الاستقلال للجزائر إلى ثلاثة ملايين نسمة، و قد وصل عدد المحتشدات في ديسمبر 1960 إلى (3426محتشد) منها (1200محتشد) قد سماها المستعمرون بالقرى الجديدة .[2]

المعتقلات:

المعتقل و هو المكان الذي كان الفرنسيون يعتقلون فيه الوطنيين وكان الشعب الجزائري أيام الثورة التحريرية يستعمل المعتقل مرادفا للفظ السجن أو الحبس ، وكان السجن يطلق على المكان المودع فيه المجرمون و اللصوص ، أما المعتقل فقد اقترن بمعنى سياسي خاص بالوطنيين الجزائريين و الوطنيات أيضا ممن أودعوا السجن .

وقد يعني المعتقل أيضا تجميع عدد من المناضلين في مكان محروس غير السجن الكلاسيكي و ذلك لضيق السجون في الجزائر و في فرنسا هؤلاء الوطنيين الذي تكاثر عدد المعتقلين منهم و المحشورين فبلغ عددهم زهاء مليونين.[3]و يبين "الطاهر عزوي" الاختلاف بين المعتقل وبين السجن فيقول : ((المعتقل يختلف عن السجن و هو ليس من نوع خاص و يطلق على كل مكان يجمع فيه الناس و تقيد حريتهم فيه ، ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة فلا يتعرض للمحاكمة و يبقون مرهونين بحياة الحوادث الطارئة و تختلف حياتهم في المعتقل حسب اختلاف الإدارة التي تسيرهم ، ولا يخضعون للبس معين مثل السجن و يمتعون ببعض الحرية على غرار السجن كاطلاع على الصحف و السماع لإذاعة و التنقل في المراقد و التفسح في الفناء و ممارسة الرياضة و التعليم الفردي و الجماعي ،[4] و كانت السلطات الفرنسية تراعي الحرارة الصيفية أو البرودة القاسية في الشتاء عذابا للمعتقلين و إهانةة لهم تحيطه بسياج من الأسلاك

[1] رماضنة : المرجع السابق ، ص 198.
[2] الزبيري(محمد العربي) : الثورة الجزائرية في عامها الأول ، الطبعة الأولى ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، 1404ه/1984 ، ص 104-107 .
[3] عزوي : مرجع سابق ، ص12
[4] مرجع سابق ، ص ، 13 .

الشائكة و تزرع بالقنابل و الألغام من ورائها كي لا يتمكن المعتقلين من الفرار و تفضل إقامة هاته المعتقلات في أماكن نائية و خالية من السكان و على أبواب الصحراء .

و من أول المعتقلات التي تم إقامتها هو معتقل " شلال " في شهر ماي 1955 و معتقل الجرف في شهر أوت 1955 و بعد هذين المعتقلين تولت عملية إقامة المعتقلات ، لتشمل كامل التراب الوطني نذكر منها : عين حماره ، شلاله ، سيدي ألشحمي ، المشرية ..

وكان الاستعمار الفرنسي يرمي من خلال إنشاء هاته المعتقلات ، هو جمع كل المتعاطفين مع الثورة ، وذلك لإضعافها و التقليل من حجم التأييد الشعبي لها . [1]

[1] المرجع السابق، ص 15.

الفصل الثالث

تحليل مضمون كتاب معذبو الأرض

المبحث الأول: الكفاح من أجل التحرر

المطلب الأول: العنف بالعنف

المطلب الثاني: الاتحاد ثمرة التحرر

المبحث الثاني : حقيقة الاستعمار الفرنسي

المطلب الأول : التعايش السلمي

المطلب الثاني : الحياد

المبحث الثالث : موقف النخبة و الأحزاب السياسية من الحركة التحررية

المطلب الأول : النخب المثقفة

المطلب الثاني : الأحزاب السياسية

المبحث الأول: الكفاح من أجل التحرر

" فرانز فانون " ظاهرة فكرية ونضالية بامتياز وقد لعبت كتاباته ولا تزال تلعب دورا مفصليا في النقاش الثقافي الدائر في العالم المعاصر وفي التأسيس لنظريات التحرير الثقافي وخاصة في حقلي الدراسات الثقافية والدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية. لكتابات فرانز فانون حضور استثنائي في الجامعات الأوروبية–الغربية، وفي أمريكا اللاتينية، وفي بعض الدول الإفريقية وفي مقدمتها دولة جنوب إفريقيا وفي إيران.[1]

عرف "معذبو الأرض"، فور صدوره، رواجا عالميا، وأسهمت في انتشاره المقدمة التي خصه بها جان بول سارتر ، وكانت لـ "معذبو الأرض" أيضا تأثيرات قوية في الفلسفة النقدية الكولونيالية.

أما على الصعيد النضالي والسياسي، فما يزال "معذبو الأرض"، بالرغم من مرور السنين، يحظى بصدى دائما ومتجددا في الفكر التحرري المقاوم لمختلف أشكال الهيمنة والاستعمار، بدءا من النزعة (العالم ثالثية) المعادية للإمبريالية، إلى الحركات اليسارية العالمية، ووصولا إلى نشطاء مناهضة العولمة .

"فرانز فانون" يعتبر أسطورة القرن العشرين التي غيرت وجه العالم، هو الصوت الصداح الذي انبعث من عمق إفريقيا ليسمع به العالم، رجل كرس حياته وقلمه لخدمة الإنسانية جمعاء، عاش مناضلا ومكافحا ومات بطلا مغوارا " فرانز فانون ""أحد أبرز من كتب عن مناهضة الآخرين في القرن العشرين. ألهمت كتاباته ومواقفه كثيراً من حركات التحرر في أرجاء العالم, ولعقودٍ عديدة.

لقد وقف فرانز فانون جسدا وروحا ضد الشعوب المغلوبة، ونظرا لأهمية هذه الشخصية التي ساهمت بشكل كبير في تحرير إفريقيا من براثن الاستعمار ، شاعت عن فرانز فانون فكرة أنه «نبي العنف»،

[1] أزراج عمر : نحو تفكيك العلاقات بين المستعمر والمستعمر ، بدون تاريخ نشر ، 29-04-2013، 19 :45 ، http://www.wakteldjazair.com

العنف الصوفي، (نبي ثورة عنيفة ستهز العالم الثالث) ثورة قد تكون أخطر بكثير من الشيوعية على مصالح الغرب. كان فارس خراب جديد، نبي معذبي الأرض، الذين يثورون في وجوه مستغليهم[1].

آمن " فرانز فانون " بأن مقاومة الاستعمار تتم باستعمال العنف فقط من جهة المقموع، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة[2].

فلقد تشبعت أجيال عديدة بدروس، بل بتعاليم كتاب «معذبو الأرض» ، ل " فرانز فانون" ، الذي جاء كتكملة لما طرحته من قبل بعض النظريات الماركسية أو العالم ثالثية من ضرورة قلب موازين القوى الطبقية والاجتماعية. وبعد عدة سنوات من التهميش والإهمال

حظي باهتمام فلاسفة كبار مثل"جان بول سارتر و "حنا اردنت" و ادوارد سعيد " و "شارل تايلور" و "جوديث بوتلر" و كثيرين غيرهم ، إذ يشكل مفترق طرق بالغ الأهمية فكريا و سياسيا في عالمنا المعاصر.[3]

وعند دراسة كتاب فرانس فانون " معذبو الأرض " :

الذي كتبت مقدمته من طرف الفيلسوف و الأديب الفرنسي * " جان بول سارتر" في سبتمبر 1961 ، انه لمن الصعب أن نشير إلى الدور الذي لعبته مجلة "سارتر" في الثورة الجزائرية التحريرية و رغم عدم إدانتها علينا للنظام الاستعماري فقط استطاعت تبني فكرة استقلال الجزائر .

لم يفقد "فانون" الأمل في اليسار الفرنسي لأنه وجد في بعض الشخصيات الفكرية اليسارية وسيلة للتأثير على الرأي العام الفرنسي .

---

[1] قبال : مرجع سابق ،

[2] أبو زيد حموضة : المنتدى التنويري يناقش كتاب معذبو الأرض ، 10 حزيران، 2006 ، 2013-05-01 ، 10:12، http://www.tanwer.org .

[3] لويس جورج تين : صاحب «معذبو الأرض»..هل عذبته إنسانيته ، http://www.almadasupplements.com ، 2-04-2013، 09:41 .

حتى أن ذات يوم طلب من "سارتر" أن يكتب مقالا في مجلة الأزمنة المعاصرة "les temps modernes" يعلن فيه معارضته لمواقف الحكومة الفرنسية و تبنيه قضية الجزائر و لم يخفي "فانون" أمنيته أن يرى "سارتر" داخل السجن حتى يكون له انعكاس سياسي على أحداث الجزائر.

و بهذا لم تكن مقالات "فانون " الثلاث تهدف إلى اليسار الفرنسي فقط بل وحتى الصحف الفرنسية التي لم تنهض بدورها خوفا من الخيانة الكبرى و في مقال الاستعمار نظم نجد سارت: ينظر إلى حرب الجزائر على أنها حرب اقتصادية بمعنى انه يجب تغيير البنية الاقتصادية و علاقات الإنتاج و اجتماعية لانعدام المدارس والمستشفيات و نفسية لان علاقة "الأنا" الجزائري بالسيد علاقة تحدوها "الشعور بالقصور" و يصور "سارتر" موقف السياسي بموقف الفرنسي الذي يعيش داخل المستعمرات و الذي يعمل على تحطيم نفسه بنفسه أي ليس لنا ممتلكات لكي نتركهاو هنا يمكن أن نفهم أن إعجاب "فرانز فانون " ب الفيلسوف "سارتر" و أن كان يتمنى من هذا الأخير أن يلتزم أكثر بقضية الجزائر و بطيعة الحال إعجاب "سارتر" بمفكرنا حتى أنه طلب منه وضع مقدمة لكتاب "معذبو الأرض " اعتبر طلبه هذا شرفا لم يكن له سابق . [1]

وفي مقدمة"معذبو الأرض" ل "فرانز فانون" تطرق الفيلسوف والأديب الفرنسي "جان بول سارتر" فيها لأسلوب صناعة الفكر الغربي في الشرق حيث تحدث بكلام خطير لكنه جد خطير فيقول : (...كنا نحضر رؤساء القبائل و أولاد الأشراف و الأثرياء و السادة من إفريقيا ، و نطوف بهم بعض أيام في أمستردام و لندن والنرويج و بلجيكا و باريس ، فتتغير ملابسهم و يلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويرتدون السترات و السراويل و يتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح و الغدو و الاستقبال و الاستدبار ، ويتعلمون لغاتنا و أساليب رقصنا و ركوب عرباتنا و كنا ندبر لبعضهم أحيانا زيجة أوربية ، نلقنهم أسلوب

[1] عثمان : مرجع سابق ، ص ص 74 - 76 .

* جان بول سارتر الفيلسوف والأديب الذي ولد 1905م، رأس الوجوديين الملحدين الذين لا يقرون بوجود الله، وسارتر يعد احد رموز الفكر الغربي الحديث وهو متنوع في أنتاجه بين الشعر والرواية والمسرح والقصة القصيرة والأغنية والمطالعات الفلسفية، ومنذ البداية حقق نجاحاً شعبياً لا مثيل له في فرنسا. ونشر كتباً عديدة أشهرها رواية "الغثيان" ومسرحية " الذباب" والكتاب الفلسفي "الوجود والعدم". وفي أعقاب الحرب العلمية الثانية أصدر مجلة "الأزمنة الحديثة" كما أصدر صحيفة "اليسار" نصف الشهرية.

الحياة بأثاث جديد وطرز جديد وغذاء أوربي ، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوربة بلادهم ، ثم نرسلهم إلى بلادهم ، و أي بلاد ، بلاد كانت أبوابها مغلقة دائما في وجوهنا و لم نكن نجد منفذا إليها ، كنا بالنسبة إليها رجسا و نجسا و جنا ، كنا أعداء يخافون منا ، وكأنهم همج لم يعرفوا بشرا ، لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم لبلادهم ، كنا نصيح من أمستردام أو برلين أ باريس ، الإخاء البشري فيرتد رجع صوتنا من أقاصي إفريقيا أو الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى أو شمال إفريقيا ، كنا نقول ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة ، و كانو يرددون أصواتنا هذه من أفواههم ، و حينما نصمت كانو يصمتون ثم كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعناه في أفواههم ، ليس هذا فحسب بل أنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم ، هذا السوس الذي كنا قد صغناه و أسميناهم المفكرين كانوا عالمين بلغاتنا و كان قصارى همهم و منتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا، في حين أنهم أشباهنا و ليسو مثلنا ، إنما نخروا من الداخل ثقافة أهلهم و أديانهم القومية التي تصنع الحضارات ، ومثلهم و أحاسيسهم و أفكارهم الجميلة ، و أصالتهم الأخلاقية و الإنسانية ، وتحت أي شعار وباسم من ، باسم مقاومة الخرافات او مكافحة الرجعية أو الوقوف ضد السلفية أو الأصولية . [1]

يبدأ هذا الكتاب من طرح إشكالية الإنسانية و التحولات التي مرت بها عبر الحقب التاريخية لتعرض فكرة الاستعمار بعرض فريد بنظرة من ينتمي للمستعمر و لا يوافق فكرهم ، و الأمر كما يقال و شهد شاهد من أهلها ، فكر فرانس فانون ، الذي يفضح جرائم الاستعمار الفرنسي من جانب الأساليب و طريقة ذكية تعلم من يقرأ له كيف تحبط مؤامرة الاستعمار بمعنى آخر أساليب فرنسا في إفريقيا و سياستهم فهي تقييم إستراتيجية فرق تسد ، و خلق النزاعات الداخلية العرقية ، واستعمال المال لشراء الرجال من أجل استغلالهم في مخططاتهم ، طرح المؤلف أفكار مهمة جدا حول همجية المستعمر كاستغلال الطبقة البرجوازية كقوة

[1] محمد بقاش (محمد): حقيقة العلمانيين الشرقيين ، 2012-12-14، 2013-04-27،03:45 ، http://www.esgmarkets.com/forum/showthread.php?t=170141

ثالثة ، لكسب رهان الاستعمار لكن هيهات كما يقول فكل هذه الأساليب قديمة و لا تجدي نفعا في العصور الحالية ،أي أن المؤلف من دعاة الوقوف ضد الاستبداد و المقاومة لآخر قطرة دم .

مرت حياة "فانون" بثلاث مراحل هي : مرحلة البحث عن الهوية السوداء ومرحلة النضال ضد الاستعمار ثم مرحلة العمل على التخلص من آثار الاستعمار ، وظف فانون تخصصه العلمي في الطب النفسي الذي كان متأثرا ب "فرويد ولاكان" في تحليل الهوية السوداء ، ولذلك نجده يقول " ما إن أدرك أن الزنجي هو رمز الخطيئة ، فإنني أضبط نفسي بكراهية الزنجي ، لكني أدرك فيما بعد أنني زنجي وهناك طريقتان للخروج من هذا الصراع :أما أن اطلب من الآخرين أن لا يعيروا انتباها إلى بشرتي ،أو أود لو التفتوا لها ، وهنا أحاول أن أجد قيمة لما هو سيئ ، بما أنني مقتنع بان الرجل الأسود هو لون الشر ، ولكني انتهي من هذا الموقف العصبي الذي أجد نفسي فيه مضطرا لاختيار حل غير صحي ، حل صراعي قائم على الوهم والعداء ،انه باختصار موقف لا أنساني ، ليس لدي هنا إلا حل واحد : أن أتعالى على هذه الدراما العبثية التي يلعبها الآخرون من حولي ، أن أرفض المصطلحين معا فهما غير مقبولين وبنفس الدرجة ، وذلك للوصول إلى كائن أنساني كوني واحد أراد فرانز فانون لكتابه "معذبو الأرض" أن يكون بيانا ضد الهيمنة الاستعمارية والإمبريالية الغربية، حيث دعا شعوب العالم إلى الثورة والتحرّر [1].

[1] حميد (علاء): لإمبراطورية ترد بالكتابة ، دون تاريخ نشر ، 22-05-2013 ، 23:49 . http://www.alimbaratur.com

المطلب الأول : العنف بالعنف

إن محو الاستعمار إنما هو حدث عنيف دائما ، إن محو الاستعمار ، على أي مستوى درستاه : سواء أكان مستوى لقاء الأفراد بعضهم ببعض ، أم مستوى تسمية النوادي الرياضية بأسماء جديدة ، ام مستوى التشكيل الإنساني لحفلات الكوكتيل و أجهزة الشرطة و مجالس إدارة المصارف القومية أو الخاصة ، إنما هو إحلال "نوع " إنساني محل "نوع" إنساني آخر ، إحلالا كليا ، كاملا ، مطلقا ، بلا مراحل انتقال ...إن محو الاستعمار حين يعرض عاريا ، يكشف من خلال مسماته كلها ، عن رصاصات حمر و خناجر دامية ، ذلك انه إذا كان على الأواخر أن يصبحوا هم الأوائل ، فان هذا لا يمكن أن يتم إلا بعد قتال حاسم مميت يخوضه الطرفان المتنازعان ، إن هذه الإرادة الثابتة التي تريد أن تنقل الأواخر في طليعة الصف ، وان تجعلهم يتسلقون (بسرعة مفرطة كما يقول بعضهم) الدرجات المعروفة التي يتألف منها مجتمع منظم ، هذه الإرادة لا يمكن ان تنتصر إلا إذا ألقيت في الميزان جميع الوسائل ، ومنها وسيلة العنف طبعا .

انك لا تستطيع أن تفكك نظام مجتمع من المجتمعات ، مهما يكن بدائيا ، ببرنامج كهذا البرنامج ، ما لم تعزم آمرك منذ البداية ، أي منذ وضع هذا البرنامج نفسه ، على أن تحطم جميع الحواجز التي ستلقاها في طريقك ، و المستعمر الذي يقرر أن يحقق هذا البرنامج " أن يكون له المحرك ، مهيأ للعنف منذ زمن طويل ، لقد أدرك منذ ولادته إدراكا واضحا أن هذا العالم المضيق ، المزروع بأنواع المنع ، لا يمكن تبديله إلا بالعنف المطلق .[1]

حرِّض " فرانز فانون" على شرعية وحتمية المقاومة المسلحة، بوصفها السبيل الوحيد للخلاص من الهيمنة الاستعمارية ، بقوله: "بالنسبة إلى شعب محتل، القيمة الأبرز والأكثر ملموسية هي الأرض: يجب

[1] معذبو الأرض ، مرجع سابق ، ص ص 19،20

على الشعب أن يحرر أرضه، لأنها هي التي تؤمِّن له الخبز والكرامة" ، و خلص إلى القول: "بالنسبة إلى شعب يعاني من الاحتلال، لا يمكن لنور الحياة أن يبزغ سوى فوق الجثث المتفسخة لمستعمِريه " [1].

وهذا ما تتمثل في مناهضة "فرانز فانون" لفكرة مقابلة العنف بالعنف و الترهيب بالترهيب لكسب الاحترام و الاستقلال بالقوة ، ويعتبر " أن هذا العنف الجامح ليس زوبعة سخيفة ، ولا هو تيقظ غرائز وحشية ، بل هو ثمرة حقد : انه الإنسان نفسه يشكل نفسه تشكيلا جديدا " و يقول أن علامات العنف لا يستطيع أي لين أن يمحوها : إن العنف وحده يستطيع أن يهدمها و المستعمر يشفي من عصابة الاستعمار بطرد المستعمر بالسلاح [2].

و يدل على هذا بقوله :

"إني على يقين بان الكفاح سيعم. ليس فقط الكفاح الاقتصادي و السياسي ضد الغرب و إنما أيضا كفاحا ضد الأنظمة المحلية من أجل إرساء فضاءات أوسع للحرية والفكر و بعبارة أخرى التحرر من الفكر الأحادي الذي فرضته علينا أنظمة ديكتاتورية منذ الاستقلال. انه مسار حركي يتم عبر الزمن و الأجيال و أن الأوهام التي كانت لجيلي سنوات 1960 ستكون أحلاما للأجيال القادمة."

حيث يرى "فانون" أن الرد على عنف المستعمر ، بالكفاح المسلح أو الكفاح العنيف كما سماه يكون له معنى آخر و طابع ايجابي حيث يجعل الأمة كتلة واحدة غير منقسمة و يعبئ الشعب و يجعله في اتجاه واحد ليس ثان (العنف هو سبب إدراك الفرد بالقضية المشتركة و المصير الوطني و التاريخ القومي من خلال الدم و الحقد يوجد الاندماج) ، أي " أن العنف يحمل في أرحامه بذور القضاء على الإقليمية القبلية "

---

[1] حرزلي (علي) و بن شيكو(وليد) : التأثيرات الفكرية لـ "معذبو الأرض": من النضال ضد الاستعمار والإمبريالية إلى مناهضة العولمة و"الرّاب" الاحتجاجي ، ، 17-16-07-2012 ، 16-04-2013، 14:30 ، http://www.djazairnews.info .

[2] معذبو الأرض: مرجع سابق، ص 12

، يؤكد و يلح على ضرورة استعمال العنف و السلاح لكسب الاستقلال و تغيير الشعوب في الحالة التي فرضها عليه الاستعمار.

بالنسبة لفانون، فان أحد هذين الطرفين زائد ويجب أن يزول. وهذا الزوال عليه أن يكون تاما و شاملا وبلا رجعة (البقاء للأقوى) ، و التخلص من براثن الاستعمار.

دعا فانون في حديثه إلى مواجهة العنف بالعنف و شهر السلاح في وجه العدو متناسينا كل أفكار الضعف و الخذلان "يجب ان نبادر بسر على تحرير المستعمرات ، يجب ان نحرر الكونغو قبل ان تتحول الى (جزائر) ، يجب ان نحرر المستعمرات ، يمينا ان علينا ان نحرر المستعمرات ، هكذا يرد الاستعمار على إستراتيجية "ديان بيان فو" التي يرسمها المستعمر بإستراتيجية أخرى ، هي بإستراتيجية منح الاستقلال و احترام سيادة الدول .

العنف الذي يعمد إليه المستعمر يوحد الشعب ويجعل منه شعبا مترابط العرى و موثوق القيم فلا استعمار ولا سلاح يهز كيانه ف وجود الكفاح المسلح يشير إلى أن الشعب قد قرر ألا يثق إلا بالوسائل العنيفة و استعمال هاته الوسائل العنيفة تحتم بتضافر و تماسك الشعب لتحقيق التحرر.

المطلب الثاني: الاتحاد ثمرة التحرر

يثير المؤلف "فرانز فانون فكرة متصلة بالفكرة السابقة العنف بالعنف للتحرر فلقد خلص بالقول أن الاتحاد هو الدافع الذي من خلاله يمكن للشعوب المستعمرة أن تسترد اعتبارها كونها في بلدان مختلفة و تطرد الاستعمار من بلادها .

لينتقل إلى فكرة أخرى مرتبطة بضرورة العنف و هي التحام واتحاد الشعوب الإفريقية ، حيث يقول : " إما أن يظل المرء مذعورا و إما أن يجعل غيره مذعورا " [1] ، نفهم انه يقصد من خلال هاته المقولة إما الاستسلام والخنوع للمستعمر ، أو الظفر بالوحدة .

وفي هاته الوحدة وتحمل ما ينجر عليها يستشهد بمعاناة الشعب الجزائري ، و كيف يذود المواطن الجزائري بجلده و نفسه ، و طول صبره يناضل ضد أناس أغنياء مسلحين تسليحا قويا ، فمتى قتل أو رحل أو ذاب مستوطن مستعمر ، زال نوع الأقلية ، واخلي المكان للأخوة الاشتراكية . أي عندما يحس المواطن بالفقدان أو الرحيل احد الأفراد أي الأقلية الشعبية تخلي المكان إلى الأخوة الاشتراكية ، و يعرف المناضل هنا بأنه : " إنسان جديد يبدأ حياته من نهايتها ، انه يعد نفسه ميتا بالقوة ، و يعتبره ابن العنف يستمد منه في كل لحظة إنسانيته " فقد طالب "فرانز فانون" باتحاد القارة الإفريقية ضد جميع الخلافات و جميع الانقسامات [2] .

و يعطي مثال عن الثورة التحريرية الجزائرية بقوله : "إن اتحاد الشعب الجزائري يولد تفكك الشعب الفرنسي" . أي يهدف من خلال قوله: "المشاكل قابلة للحل لكن ينبغي علينا أولا الاتحاد".

لقد طالب "فرانز فانون" مرارا وتكرارا باتحاد القارة الإفريقية بصريح العبارة قائلا : "يجب اتحاد القارة الإفريقية ضد جميع الخلافات والانقسامات " [3].

---

[1] مرجع نفسه ، ص14 .
[2] مرجع نفسه ، ص ص 15،16.
[3] المرجع نفسه .

يقول فرانز فانون : الواقع أن الاستعمار هو بحكم تركيبه يفرق صفوف الشعب و يغذي النزعة الإقليمية ، إن الاستعمار لا يكتفي بان يعلم أن هناك قبائل ، وإنما هو يعزز وجود هذه القبائل ، ويفصل بعضها عن بعض ، ويميز بعضها عن بعض ، إن النظام الاستعماري ، يغذي الزعامات المحلية و ينشط الانقسامات الدينية ، ولكن العنف يوحد بين الأفراد على الصعيد القومي ، و هو بذلك يحمل في أرحامه بذور القضاء على الإقليمية و القبلية ، و من اجل هذا فإن الأحزاب الوطنية تقسو قسوة خاصة على الزعماء التقليدين ، إن تصفية هؤلاء تمهيد لوحدة الشعب[1].

يطرح المؤلف فكرة جديدة وهي أن المستعمر يكتب تاريخ الاستعمار و النهب و ليس كتابة الممارسات الوحشية و إنما تدارك الأخطاء لمعرفة التصرف مع الأحداث، المؤلف أيضا يثير فكرة حرب التحرير و التغيير التي أحدثت في الشعب الذي كان خائفا متخفيا إلى أن جاءت الثورة لتسيره و تغيره رأسا على عقب ، فيقول : "حين يجيء كفاح التحرير فان هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسما إلى طوائف وهمية ، هذا الشعب الذي كان فريسة رعب هائل لا يغلب ، وكان مع ذلك سعيدا بضياعه في زوبعة الأوهام ، يتبدل أثناء كفاح التحرير ، وينظم نفسه تنظيما جديدا" [2].

تطهير الشعب من بعض العناصر الغير مرغوب فيها و الموالية للاستعمار يعتبر أمر تمهيدي لتوحد الشعب و الظفر بالاستقلال.

[1] المرجع السابق ، ص58
[2] المرجع السابق ، ص33

المبحث الثاني : حقيقة الاستعمار

يوجه "فرانز فانون" خطابا حادا إلى الشعوب المستعمرة مستعملا لهجة تحريك المشاعر من السبات و زعزعة الغفلة الموروثة بقوله : إنكم مستغلون ، إنكم تعلمون حق العلم أننا سلبنا القارات الجديدة ، ذهبها و معادنها ثم بترولها ، وجئنا بذلك كله إلى بلادنا القديمة . وقد حصلنا من ذلك نتائج رائعة : قصورا وكاتدرائيات و عواصم صناعية ، ثم حين كانت الأزمة تهددنا كانت وظيفة أسواق البلاد المستعمرة أن تزيل الأزمة وان تحول مجراها ، واتخمت أوروبا بالثروات ، ومنحت صفة الإنسانية لجميع سكانها على السواء ، فرانز يلقي اللوم على الفرد الذي يعايش هاته الموجة من التغيرات بقوله : "الإنسان في بلادنا شريك في الجريمة" [1].

لقد بين أن هاته القارة الدسمة الصفراء جاءت على نهب الخيرات واستغلال الثروات ، وطرح فكرة جديدة وهي يطرح فكرة الإقطاعيين " السياسية نحو امتلاك الأراضي بقوة و إعادة رسم الأراضي لمصالح المستعمر .

[1] المرجع السابق ، ص 14

المطلب الأول : التعايش السلمي

"إن السكان الأصليين في هذا العالم أناس محجوزون، و ليس التمييز العنصري إلا شكلا من أشكال هذا الحجز في العالم الاستعماري ".

"إن العالم الذي يسوده النظام الاستعماري عالم مقسم ، أي أنه هناك مدن للأوربيين ومدن للسكان الأصليين ، وان هناك مدارس للسكان الأصليين و مدارس للأوربيين ، أي أن العالم المستعمر منقسم إلى عالمين ، والخط القاسم أو الحدود الفاصلة ، إنما هي الثكنات و مراكز الشرطة ، فالدر كي والشرطي في المستعمرات هما المرجع القيم الشرعي الذي يستطيع المستعمر أن يرجع إليه و أن يخاطبه ، والمنطقة التي سكنها المستعمرون لا تكمل المنطقة التي يسكنها المستعمرون، فلا سبيل للمصالحة لان يجب على احد الطرفين أن يزول و يصف هنا المدن الراقية التي يسكنها المستعمرون والمدن الدنيئة التي وصفها الجائعة إلى الفحم والخبز و اللحم و الأحذية مدن سيئة السمعة مدينة راكعة ، مدينة متدحرجة في الوحل مدينة الزنوج ، مدينة العرب " [1] هنا فرانس فانون. يقوم على عرض الاستعمار من زاوية العنصرية و الحسد على الثروات ، و بناء اقتصاد على حساب الدول الاستعمارية على أنقاض الضعف دون إنسانية أو رحمة .

نظرة فانون للاستعمار: أنه اعتمد الاستعمار في تغلغله داخل أواسط البلدان المستعمرة على طرح فكرة التعايش السلمي و ما هي إلا إستراتيجية لإلحاق اقتصاد الدول المستعمرة باقتصاد الدول المستعمرة . وفي ذكر التعايش السلمي يقول :" إن المستعمرين ، وقد قواهم الدعم غير المشروط الذي ينالونه من البلدان الاشتراكية ، يهجمون بالأسلحة التي معهم على هذه القلعة التي لا تقهر ، قلعة الاستعمار و إذا كانت هذه القلعة لا تخدشها السكاكين والأيدي العارية ، فإنها لا تظل كذلك حين يعم المقاتلون أمرهم على أن يحسبوا حساب حالة الحرب الباردة "[2].

[1] المرجع نفسه : ص 22 .
[2] المرجع نفسه : ص 49 .

ولكن فانون يهدد الاستعمار بقوله إن هاته السياسة المنتهجة التي تضمنون فيها البقاء في البلاد المستعمرة انه : " إن التعايش السلمي بين الكتلتين يغذي العنف في المستعمرات و يحرض عليه في أيامنا هذه ، و ربما رأينا هذا العنف ينتقل إذا إلى ميدان أخر بعد تحرر المستعمرات تحررا كاملا " .

"فيرى عند طرح الاستعمار فكرة التعايش السلمي بان المستعمرين مقتنعون بان مصيرهم يتقرر الآن فكرة التعايش التي جاء الاستعمار فكرة ترجع بالاستعمار إلى الوراء و هو يحسب أن هاته الإستراتيجية"[1] ستعطيه حق البقاء في المستعمرات و هذا له بعد آخر لم ينبته إليه الاستعمار و هو أن طرح فكرة التعايش السلمي تجبر المستعمر على الخوض في عنف جديد قد يؤدي فيما بعد بزواله.

[1] المرجع نفسه : ص 50

المطلب الثاني : الحياد

في خضم المناورات المحاكة ضد الشعوب المستعمرة فقد جاء الاستعمار بعد أوجه و تعدد بمختلف الأشكال ليستحوذ على الخيرات و ينهب الثروات أولا و يكسب أراضي أخرى تؤمن له اكتفائه الذاتي ووجود أسواق خارجية لبلاده فلقد عمد الاستعمار على طرح فكرة جديدة و هي الحياد .

"هناك أمور كثيرة يجب أن نقولها عن الحياد ، إن بعض الناس يشبهون هذا الحياد بنوع من النفعية المبوأة التي تريد أن تأخذ من اليمين و اليسار ، ولكن الحقيقة هي أن الحياد الذي هو من ثمرات الحرب الباردة ، إذا كان لا يتيح للبلدان المتخلفة أن تتلقى معونة اقتصادية من الطرفين فانه لا يتيح لكل من هذين الطرفين أن يساعد المناطق المتخلفة المساعدة التي ينبغي آن تقدم لها "[1]

عند فهم فانون فكرة الحياد التي جاء بها المستعمر فلقد جاء فرانز فانون ببعد آخر ، و ذلك من خلال قوله :

"إن الحياد يولد لدى المواطن في العالم الثالث اتجاها نفسيا يعبر عن نفسه في الحياة الجارية بعناد و كبرياء يشبهان التحدي شبها كبيرا ، إن هذا الرفض القوي لتسوية ، و هذا الإصرار الصلب على عدم الارتباط يشبهان سلوك أولئك المراهقين المنزوين المحرومين ، المستعدين دائما لان يضحوا بأنفسهم في سبيل الكلمة ، و هذا كله يحير المراقبين الغربيين و يرتج عليهم ، ذلك إن هناك تناقضا فاضحا بين ما يدعيه هؤلاء الناس وما يوجد ورائهم ، إن هذا البلد الذي يعيش بلا حفلات تزام ، ولا جيوش ، و لا مال ، لا يملك ما يسوغ هذه الفخفخة التي يظهر بهذا ، فليس سلوكه هذا إلا ادعاء فارغا و تظاهرا كاذبا ، إن هذا العالم الثالث يشعر المرء بأنه يبتهج في المأساة ، وانه في حاجة إلى نصيبه الأسبوعي من النوبات ، ان هذا كله لمن الحياد "[2] .

[1] المرجع السابق : ص 51.
[2] المرجع السابق : 52،53 .

ليس في نظر المستعمرين أمرا مفارقا مستغربا ، لان الاستعمار ، كما رأينا ، إنما هو تنظيم عالم ينقسم انقساما ثنائيا ، و حين يشرع المعمر في استعمال أساليب معينة فيطلب إلى كل ممثل من ممثلي الأقلية المضطهدة أن يهلك ثلاثين واحد من السكان الأصليين أو مائة أو مائتين و يجب أن يذكر أيضا بمنطلق ((إما هم و إما نحن)) [1].

جاب الاستعمار البلاد واستعبد العباد بما يبث بسلاحه و أفكاره ، و فكر أن الحياد الذي استعمله كإستراتيجية من احد استراتيجياته قد توصله إلى خنق الشعوب و جعله تابعا لها ، فهو لم يعير للحياد اهتمام بأنه قد يعود بالشر له ، فيطرح فانون على المستعمر بان حتى هاته الحيلة لا تنطلي على الفرد و على الشعب فقد تولد فيه شعورا آخر شعورا يجبره إلى استعمال العنف للتحرر من هاته الزوبعة التي يردي الاستعمار إدخاله فيها .

فحقيقة الاستعمار و تعدد أشكال وجهه التي يظهر بها ما هي إلا استراتيجيات يريد أن يجعل الشعوب تحته خانعة راكعة إلى أوامره التي بالكاد تكون هاته الأوامر قد تجرد من إنسانيته وتعريه من قوميته فالهدف الاستعماري كما قال فانون هو إحلال نوع إنساني محل نوع إنساني آخر ، فلقد تحين للفرص و تقلد عدة أساليب التي ترجع عليه دائما بشعوب وعت أن هذا الاستعمار لا يريد بها خيرا علمت أن هذا لاستعمار يمص خيراتها و يفرغ طاقاتها علمت أنها السبب في صنع المستعمر .

[1] المرجع السابق : ص 53 .

المبحث الثالث : موقف النخبة و الأحزاب السياسية من الحركة التحررية

المطلب الأول : النخب المثقفة

يطرح المؤلف فكرة مهمة على المستوى السياسي و هي ما هي اللحظة المناسبة للقيام بحركة تحرير و طني بمعنى آخر هل نضج الشعب بما فيه الكفاية يتقبل فكرة التحرير ، و ركز على متغير الطبقة المثقفة و الأحزاب السياسية ، إن المثقفين درسوا في العواصم الاستعمارية نضام الأحزاب السياسية و كيفية عملها و بعدها ينشئونها في بلادهم بغية الضغط على الإدارة الفرنسية ، فنرى هاته النخبة تطبق أداة نضالية حديثة تطبيقا آليا على مجتمع بدائي ، غير متوازن مجتمع تعيش فيه أنظمة مختلفة معا .

يؤكد فرانس فانون : " على الدور الذي يجب أن يلعبه المثقف لبث القيم ، الصحيحة التي تنبذ الاستعمار و سياسته و الحث على التوحيد و عدم الانسياب إلى أغلوطة " نجاة الفرد بنفسه" ، و عند النهوض في وجه الاستعمار نستنتج أن النخب المثقفة وصلت إلى الهدف المنشود إلى دفع الجماهير إلى العنف و سلب الحرية حيث يؤمن "فرانز فانون" بفكرة أن الاستقلال يؤتى بالقوة و يجب الانطلاق إلى الكفاح المسلح .

"إن هؤلاء الناطقين باسم شعوبهم قد كلفتهم شعوبهم أن يدافعوا في آن واحد عن وحدة الامة ، وعن تقدم الجماهير نحو الرخاء ، وعن حق الشعب في الحرية و في الخبز[1]"

إن هاته النخب قادرة على التوحد لتغيير الوضع لدى الشعوب .

[1] المرجع السابق : 98

المطلب الثاني : الأحزاب السياسية

يطرح المؤلف فكرة مهمة على المستوى السياسي و هي اللحظة المناسبة للقيام بحركة تحرير وطني بمعنى آخر نضج الشعب بما فيه الكفاية ليقبل فكرة التحرير و ركز على متغير الطبقة المثقفة و الأحزاب السياسية ،وسبب تكون الطبقة المثقفة و الأحزاب السياسية ، " هو أن القوى التي تقترح على المستعمر في فترة الاستعمار فيقوم المستعمر في صب العنف بطرق جديدة و ينفق طاقاته في أعمال جديدة ، و هذه القوى تتمثل في الأحزاب السياسية و النخب المثقفة أو النخب التجارية كما سماها " .[1]

التي يرى فيها بأنها تحاول قلب الواقع التقليدي رأسا على عقب و لا تلح أبدا على استعمال القوة و يعتبرها أحزاب مسالمة تناصر النظام الجديد و تنادي بالمشروعية ، (هنا يقصد الأحزاب التي كانت ضد الثورة) ، ويبين انه " في الحزب الواحد إرادتين متجاورتين ، أولهما إرادة تحطيم الاستعمار و الثانية إرادة التفاهم معه بالحسنى ، وفي داخل هذه الأحزاب أحيانا أمران، الأمر الأول و هو أن عناصر مثقفة جهدت في تحليل الواقع الاستعماري و الوضع الاستعماري تحليلا دائبا دون كلل ولا ملل ، أما الأمر الثاني الذي يحدث فيتصل بالقادة الموجهين أو القادة الثانويين الذين تعرضوا ، بسبب نشاطهم ، للتعذيب البوليسي الاستعماري ".[2]

و اكبر خطأ تقع فيه الأحزاب السياسية هو الاهتمام بالعناصر المثقفة : أي الطبقة العاملة في المدن و أصحاب الحرف و الموظفين و التي تمثل نسبة جزء صغير من مجموع السكان أي المنتسبين إلى الأحزاب السياسية الوطنية هم أفراد من سكان المدن قبل كل شيء : أصحاب حرف ، عمال ، مثقفون تجار ، هذه الأواسط هي التي تحارب التقاليد البالية و هي نفسها التي تدخل في صراع مع قوام الأمة .

الاستعمار عزز دائما سيطرته و رسخها بواسطة تجميد الأرياف و تحجيرها ، فنرى الأكثرية الساحقة للأحزاب السياسية تشعر تجاه الجماهير الريفية بحذر كبير و ارتياب شديد ، ونرجع السبب هو المنظومة

[1] المرجع نفسه ، ص 35.
[2] المرجع نفسه ، ص 78.

الاستعمارية و ما يحيط بالجماهير الريفية من دراويش سحرة و زعماء تقليدين ما تزال تعيش في المرحلة الإقطاعية ، والجماهير الريفية تشعر إن عدوها الأول ليس هو السلطة المحتلة التي تقوم فيما بينها نوع من التفاهم و إنما عدوها هؤلاء العصريون الذين يريدون أن يبدلوا نظام المجتمع و إن يخطفوا خبزهم من أفواههم إن عناصر الجماهير الريفية أقل العناصر وعيا و أقلها تنظيما و أكثرها فوضى ، و يقول أن : " الجماهير التي شاركت بالعنف في التحرير الوطني لا تسمح لأي أحد أن يعد نفسه محررا ، إنها حريصة أشد الحرص على ثمرة نضالها ، وهي تحاذر أن تعهد بمستقبلها و قدرها ومصير شعبها إلى اله معبود ، لقد كانت بالأمس غير مسئولة ، ولكنها اليوم تريد أن تفهم كل شيء و أن تقرر كل شيء ، إن الضمير الذي أضاءه العنف بنوره ، يستعصى على كل محاولة لتهدئة الخواطر ، ولذلك فان مهمة الدجالين و الانتهازيين و السحرة ستكون مهمة شاقة ، إن النضال الذي قذف بالجماهير إلى معركة حامية يكسبها ميلا قويا إلى الأمور المحسوسة الملموسة ، ويصبح من المستحيل على احد إن يضللها و يفتنها عن أمرها " [1].

أثار "فرانز فانون" فكرة أن للأحزاب السياسية نصيب كبير من المسؤولية لكن الشعوب هي التي تدفع الثمن" .مؤكدا أن الأحزاب السياسية التي أنتجها الاستعمار الفرنسي أنها تخدم مصالحها الشخصية و خير حجة ، لا يمس جهاز الأحزاب السياسية بأذى ، فالاستعمار في العادة يتهافت بشراهة على هذه النفاية ، و يحيل هؤلاء العاطلين إلى مفاوضين ، فما هي إلا ثوان أربع حتى يمنحهم الاستقلال ، ويكون عليهم بعد ذلك أن يعيدوا النظام إلى نصابه ، إن السياسيين في رأي "فانون" الذين لم يعتقلوا يصبحون على الهامش أناس متعطلين لا خير فيهم و لا في بيروقراطيتهم و برامجهم الحكمية فهم بعيدون عن الحوادث .[2]

" إنّ الأحزاب السياسية الوطنيّة لا تلح أبدًا على ضرورة استعمال القوّة، لان هدفها ليس قلب النظام القائم واستئصاله من جذوره. إن هذه "الأحزاب السياسية" أحزاب مسالمة تنادي بالمشروعيّة وتناصر في

[1] المرجع السابق : ص 59.
[2] المرجع نفسه : ص 44 .

حقيقة الأمر النظام.. الجديد، ولا تزيد على أن توجه إلى البرجوازيّة الاستعمارية هذا الطلب: أعطونا مزيدًا من السلطة." [1]

"فرانز فانون " يحث أنه كما بات لزاماً على الشعب أيضاً أن يدرك أن هناك أناساً من بني وطنه لا يتمسكون بمصالحهم فحسب، بل ينتهزون كذلك فرصة النضال لتعزيز وضعهم المالي وقوتهم. فهم يتاجرون ويحققون أرباحا طائلة، على حساب الشعب . الذات . الذي يضحي بنفسه دائماً، ويروي بدمه تراب الوطن. إن المناضل الذي يجابه بوسائله البدائية آلة الاستعمار الجهنمية . آلة الآخر العالمي . يكتشف أنه بقضائه على الاضطهاد الاستعماري يساهم في خلق جهاز استغلالي آخر .

[1] مرجع سابق : ص 59

الخاتمة

خاتمة:

بعد هذه الدراسة المتواضعة التي من خلالها وصلنا إلى آخر المطاف ينتصر المعذبون على الرغم من الجوع و العري و العرق و الدماء ، و ينتزعون من جلاديهم إعجابهم ببطولتهم و يجبرونهم على تقدير كل ضحية تقع بين أيديهم ، من خلال أحد الشخصيات التي كان لها دور كبير في كشف حقيقة الاستعمار و إيقاظ عقول الشعوب من الغفلة بنظرة من عايش الشعب الفرنسي و من خلال معايشته للثورة الجزائرية و فهم جل استراتجياته و كما يقال شهد شاهد من أهلها أمكننا استخلاص مايلي :

- هذه الشخصية الفذة الاستعمار بطريقة سيكولوجية ، حيث وصل الى توضيح ماهية فكر الانسان الافريقي تجاه الاستعمار و كذا معرفة نظرة المستعمر تجاه الشعوب.
- أن فرانز فانون من مشاهير افريقيا يحمل فكرا مناهضا للفكر العبودي و القهر الانساني .
- كان يكافح ضد الاستلاب الثقافي والفكري والإنساني، هذا الرجل كان له نظرة ثاقبة مكنته من احتواء مشاكل القارة وكان له مشروع استراتيجي مهم يعود بالفائدة على دول السمراء، كان معاديا للفكر الكلونيالي وينادي بحقوق الإنسان، نظرته للاستعمار عمودية وليست أفقية.
- رأيه عنيف له أيديولوجية و أفكار غربية التي تتسم بالصرامة.

- يوصل أفكاره بأسلوب فلسفي و بعد تاريخي يعد من بين الشخصيات التاريخية الحرة التي تدعو إلى التحرر بالقوة والعنف حيث آمن فرانز فانون بأن مقاومة الاستعمار تتم باستعمال العنف فقط من جهة المقموع، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.
- ينظر إلى الاستعمار الفرنسي بنظرة عنصرية لكونه اسود البشرة و الاستعمار جاء بالتمييز العنصري فنراه حاقد على الاستعمار الفرنسي ، عارض سياسة التعايش السلمي والتي يكشف فيها حقيقة المستعمر في التغلغل في البلاد المستعمرة .
- يكتف فانون بالتنظير للثورة وتحريض الشعوب على التحرّر من الهيمنة.
- دعوة العالم الثالث بعد خروجها من حالة الاستعمار عليها أن تتطور على أساس الاكتفاء الذاتي الجماعي .
- يرى فانون أن تنازلات التي يخضع لها الشعب المستعمر ما هي إلا مهزلة ليست في حقيقتها إلا أغلالاً للإنسانية .

- دعا إلى الاتحاد لكسب التحرر وأعطى مثال الشعب الجزائري كدليل على تماسك الشعب و نيل الاستقلال.
- انتهج أسلوب الإقناع في كتابه معذبو الأرض و ذلك من خلال ذكر فكرة ثم معاودة تكرار الفكرة نفسها في صفحة مغايرة ضمن عنصر مختلف.

يبقى فرانز فانون رجلا حرا مناضلا بأوجه عديدة ، رجلا من الصعب اختزاله في صورة نمطية فلا نعرف هل هو مارتينيكي أم جزائري أم فرنسي أم هو «أسود». لم يجب بدوره عن هذا السؤال .

بعد 50عاما على وفاته، يبقى فانون وجها غريبا ومبعثا للحيرة، كشف العامل المشترك بينه و بين الجزائريين ليس الوضعية الجنسية و إنما الالتقاء عند صانع هذه الزنجية في صورة جديدة و قناع جديد و هو الرجل المستعمر فلقد كانت نظرة فرانز فانون للتعذيب خاصة الممارسات الوحشية التي مورست في حق الجزائريين أنه لا يقصد منه تعذيب بقدر ما يقصد منها أن تجبر المعذب على الكلام .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر و المراجع :

القرآن الكريم :

سورة الأحزاب، الآية رقم 58.

المصادر العربية :

1. بزيان (سعدي) : جرائم فرنسا في الجزائر، د.ط، دار الهومه للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2002 .
2. بوعزيز(يحي): الثورة في الولاية الثالثة (1962_1954) ، د.ط ، دار الآمة ، الجزائر، 2004.
3. بوعزيز(يحي) : السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1983-1954، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995.
4. رخا طارق عزت : تجريم التعذيب و الممارسات المرتبطة به دراسة مقارنة في القانون الدولي العام و القانون الوطني و الشريعة الإسلامية، د.ط ، دار النهضة ، مصر، 1990.
5. الصديق(محمد الصالح) : كيف ننسى و هذه جرائمهم ،الطبعة الأولى ، دار هومه ، الجزائر ، 2009.
6. الزبيري (محمد العربي) : الثورة الجزائرية في عامها الأول ، الطبعة الأولى ، دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، 1404هـ/1984.
7. عزوي (محمد الطاهر) : الثورة الجزائرية أمجاد و بطولات ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر الإشهار، الجزائر ،1996 .
8. الغالي (غربي) : فرنسا و الثورة الجزائرية (1954-1958) دراسة في السياسات والممارسات ، د.ط ، الجزائر 2009.
9. الميلي (محمد مبارك) : فرانز فانون (العام الخامس للثورة الجزائرية) ، الطبعة الأولى، دار الفارابي للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2004.

مصادر مترجمة :

10. سيمون (هنري بيار) : ضد التعذيب في الجزائر ، ترجمة : بهيج شعبان ، دار العلم للملايين ،مصر ، 1957.
11. فرانز فانون : سوسيولوجية ثورة ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، د.ط ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان، 1970 .
12. فرانز فانون : معذبو الأرض ، ترجمة سامي ألدروبي و جمال أتأسي ، مراجعة عبد القادر بوزيدة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان، منشوراتANEP، الجزائر ، 2004.

المصادر الفرنسية:

13. Alice Cherki, Frantez fanon portrait , le seuil, Mille-feuille, Alger Paris , septembre2000, Ministère deculture.2009
14. F .Fanon, **L'an 5 de la révolution algérienne,** Maspero , Paris ,1959
15. Frantz fanon, Les damnes de la terre, Ministère de la culture, Alger, 2009.

مراجع بالعربية:

16. (بلحسن) البليش، بن هادية (علي) و آخرون : معجم الطالب ، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1991.
17. بلعباس (محمد) : الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر ، د.ط ، دار المعاصرة ، الجزائر ، د.س.ن.
18. بومالي (أحسن) : إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956 ، د.ط ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار ، الجزائر ، د س ن .
19. الحفيري (عبد الحميد) : فرانز فانون (بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته) ، د. ط ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر 2007 .

20. الخطيب (أحمد) : الثورة الجزائرية دراسة و تاريخ ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1958.
21. زبير (رشيد) ، جرائم فرنسا الاستعمارية في الولاية الرابعة (1956-1962) ، د.ط ، دار هومه ، الجزائر، 2005.
22. سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، ج2 ، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر1983 .
23. سلامه (محمد عبد الله أبو بكر) : جريمة التعذيب في القانون الدولي الجنائي و القانون الداخلي، د.ط ، المكتب العربي الحديث ، الإسكندرية ، د.س.ن.
24. عمراني (عبد المجيد) : جان بول سارتر والثورة الجزائرية ، د . ط ، مكتبة مدبولي ، باتنة ، الجزائر، د.س.ن.
25. عمراني (عبد المجيد) : النخبة الفرنسية المثقفة و الثورة الجزائرية 1954-1962 ، ط 1، دار الشهاب ، باتنة ، د.س.ن.
26. الكبير (سليمة) : فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية ، د.ط ، المكتبة الخضراء للنشر و التوزيع ، الجزائر، د.س.ن .

المجلات و الدوريات:

مجلة أول نوفمبر :

27. مجلة أول نوفمبر، (اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين): العدد 158-157، المصادف ل سنة 1418 هـ/ 1997 م.

مجلة التراث :

28. خلاصي (علي)، أساليب التعذيب والتنكيل التي مارستها فرنسا ضد الشعب الجزائري(1954-1962) ، مجلة التراث، العدد7، باتنة ، نوفمبر 1994.

مجلة المجاهد :

29. جان بول سارتر المجاهد (جريدة اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني) ، الكادحون في الأرض ، الجزء الثاني ، وزارة الإعلام ، العدد 89 ، المصادف ل 1961/12/11 ، الجزائر ، 1984.
30. فرانز (فانون) : حول العنف ، مجلة المجاهد ، العدد 12 ، 1961/12/25.

31. فرانز (فانون) : حول العنف ، مجلة المجاهد ، العدد 32 ،1961/12/25.

مجلة الذاكرة :

32. قناطري (محمد) : الثورة الجزائرية و قواعدها الخلفية بالجهة الغربية بالجهة الغربية و العلاقات الجزائرية المغربية إبان ثورة الجزائر، مجلة الذاكرة ، العدد 3 ، سنة 1955.

مجلة المصادر الفصلية

33. بن مرسلي (أحمد) : الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 (دراسة شخصية بومدين) ، مجلة المصادر الفصلية ،العدد الأول، الجزائر ، 1419هـ/1999م .

جريدة الخبر

34. بريكي (محمد عاطف) : فرانز فانون الأيقونة السوداء التي كشفت فضاعت الاستعمار،جريدة الخبر،عدد رقم 12، 01 فيفري 2013 الموافق ل20 ربيع الأول 1434 هـ

سلسلة ملتقيات:

35. كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998 .

36. الأسلاك الشائكة المكهربة دراسات و بحوث ملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة و الألغام)، الغالي الغربي ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، د.س.ن .

<u>الرسائل الجامعية (بحوث غير منشورة) :</u>

37. بكار (حاتم حسن موسى) : حماية حق المتهم في محاكمة عادلة في التشريع الجنائي الليبي و المقارن ،رسالة دكتوراه ،كلية الحقوق ، جامعة الإسكندرية ،1996 .

38. رماضنة (جعفر) : أنواع و أساليب التعذيب الاستعماري الفرنسي في الجزائر إبان الثورة الجزائرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، باتنة ،2005- 2006.

39. عثمان (محمود) : مفهوم العنف في فكر فرانز فانون و علاقته بالثورة الجزائرية ، مذكرة ماجستير ، العام الدراسي : 1987-1988 ، معهد الفلسفة ، جامعة الجزائر ،

مواقع الكترونية:

40. أبو زيد حموضة : المنتدى التنويري يناقش كتاب معذبو الأرض ، 10 حزيران، 2006 ، تاريخ الزيارة 01-05-2013 ، 10:12، . http://www.tanwer.org .

41. أزراج عمر : نحو تفكيك العلاقات بين المستعمر والمستعمر ، بدون تاريخ نشر ،تاريخ الزيارة : 29-04-2013 ، 45: 19 ، http://www.wakteldjazair.com .

42. حسني(محمد علي) : تعار يف حول التعذيب ، تاريخ الزيارة ، 2013/04/16، 23:56 ، http://iraqmemory.org .

43. حميد (علاء) : لإمبراطورية ترد بالكتابة ، دون تاريخ نشر ، تاريخ الزيارة ، 22-05-2013 ، 23:49 http://www.alimbaratur.com .

44. حرزلي (علي) و بن شيكو(وليد) : التأثيرات الفكرية لـ "معذبو الأرض" : من النضال ضد الاستعمار والإمبريالية إلى مناهضة العولمة و"الرّاب" الاحتجاجي ، 17-16-07-2012 ، تاريخ الزيارة ، 16-04- 2013 ، 14:30 ، http://www.djazairnews.info .

45. سيد علي(نصيرة) : أسطورة القرن العشرين ، 09-07-2009 ، تاريخ الزيارة 02-05-2013 ، 12:12، http://www.djazairess.com .

46. السلايلي (محمد) : معذبو الأرض يتذكرون فرانز فانون ، http://www.maghress.com/almassae ، تاريخ الزيارة 25-04- 2013، 20:17 .

47. لويس جورج تين : صاحب «معذبو الأرض»..هل عذبته إنسانيته ،تاريخ الزيارة ، 2-04-2013 ، 09:41 ، http://www.almadasupplements.com .

48. محمد بقاش (محمد): حقيقة العلمانيين الشرقيين ، 14-12-2012، تاريخ الزيارة ، 27-04- 2013، 03:45 ، . http://www.esgmarkets.com/forum

الملاحق

الملحق رقم (01)

الوجيز في حياة فرانز فانون :

20 جويلية 1925 :

تاريخ ميلاد المفكر فرانز فانون ب" فور دي فرانس " عاصمة "المارتنييك" الفرنسية .

1943 :

سفره إلى الدومينيك للالتحاق بالقوات الفرنسية .

1945 :

إصابته بجروح في إحدى المعارك , ومنحه وساما لشجاعته .

1946 -1947 :

يتقدم فانون إلى امتحان البكالوريا في ثانوية من ثانويات " فور دي فرانس " في نفس السنة ذهب الى باريس و ليون لدراسة الطب .

1951 :

إنهاؤه أطروحته و تحضيره لامتحان الداخلية لمستشفيات الطب النفسي و التحق في الصيف بمستشفى "سان ألبان" لتحضير رسالة جامعية تحت إشراف الأستاذ "طوكسيل" .

1952 :

زواجه وبداية حياته الأسرية .

يكتب فانون كتابه بشرة سوداء أقنعة بيضاء

1953 :

نجاحه في مسابقة الالتحاق (ميديكا) , لمستشفيات الطب النفسي , تعيينه مديرا للعلاج العقلي بمستشفى البليدة .

1954:

اندلاع الثورة التحريرية المباركة.

1956:

بداية اتصاله بلجنة التنسيق والتنفيذ، و مقابلة بعض مسيريها.

1957 :

- تقديم استقالته إلى الحاكم العام بسبب اكتشاف أمره .
- إبعاده إلى فرنسا و مواصلة نشاطه مع فيدرالية جبهة التحرير الوطني .
- إرساله إلى تونس حيث كلف بمهمة الإعلام .
- تعيينه طبيبا في مستشفى منوبة للعناية بالمرضى الجزائريين والتونسيين .

1958 :

- تعيينه عضوا ضمن الوفد الجزائري إلى مؤتمر الشعوب الإفريقية المنعقد بالعاصمة الغينية "أكرا "
- يساهم في كتابة سلسة من المقالات في جريدة المجاهد السرية.
- يكتب فانون كتابه (سوسيولوجية ثورة) .

عام 1959 :

أصيب بجروح خطيرة في حادث سيارة قرب الحدود التونسية – الجزائرية .

عام 1960 :

- مشاركته ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الثاني لشعوب إفريقيا بتونس .
- تعيينه ممثلا دائما للحكومة المؤقتة الجزائرية في أكرا، وإسهامه في فتح جبهة جنوبية تسمح لمجموعة جبهة التحرير الوطني بالدخول إلى الجزائر انطلاقا من مالي.

عام 1961 :

- ذهب إلى إحدى مستشفيات موسكو ثم عاد إلى تونس .
- بدأ في تحرير كتاب " معذبو الأرض "
- و فاته (06 ديسمبر 1961) بعد معاناته من سرطان الدم .

الملحق رقم (02)

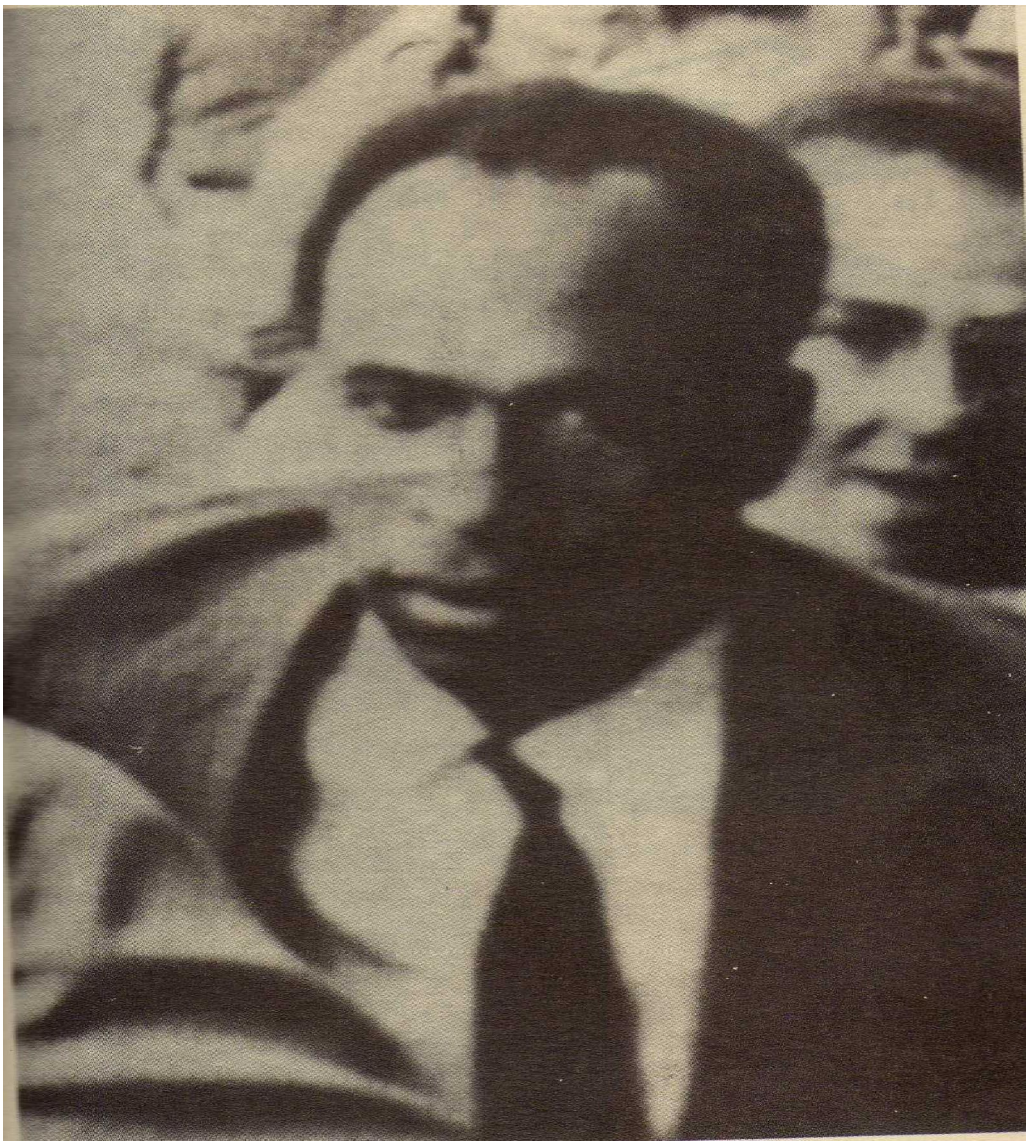

1

[1] .Alice Cherki .Frantez fanon portrait .le seuil. Paris .septembre2000. Ministère de la Mille-feuille. Alger.2009 . culture. P.153.

الملحق رقم (03)

Le pavillon Clérambault, à l'hôpital psychiatrique de Blida-Joinville (actuellement hôpital Frantz-Fanon) où Fanon exerça de 1953 à 1956.
Photo © coll. part.

[2]

[2] Ibid. p154

الملحق رقم (04)

Frantz Fanon s'embarquant avec (derrière lui) Rheda Malek, journaliste d'*El Moudjahid*.

[3]

[3] Ibid. P.155

الملحق رقم (05)

1959. L'équipe de l'hôpital de jour, à Charles Nicolle, Tunis, autour de son chef de service.

4

[4] Ibid. P.156

الملحق رقم (06)

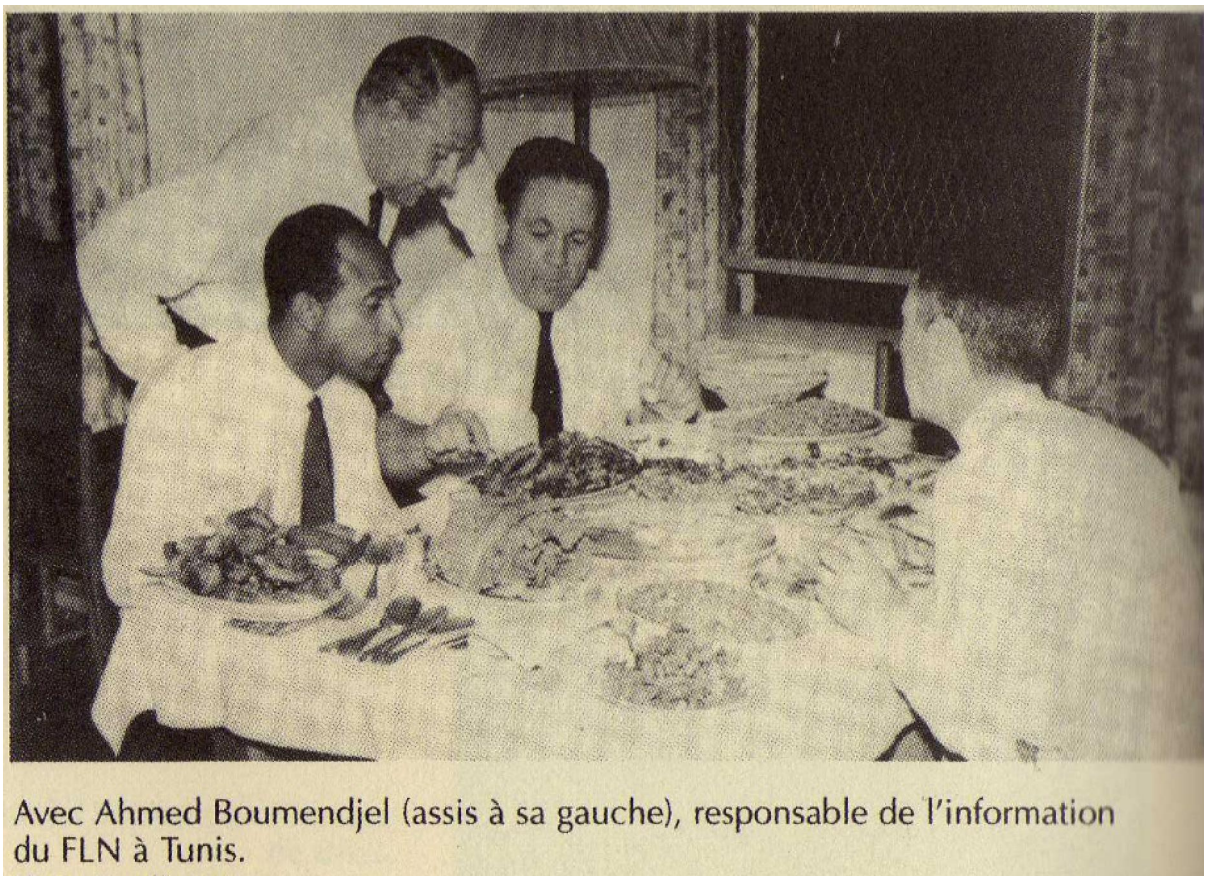

Avec Ahmed Boumendjel (assis à sa gauche), responsable de l'information du FLN à Tunis.

[5]

[5] Ibid. p156

الملحق رقم (07)

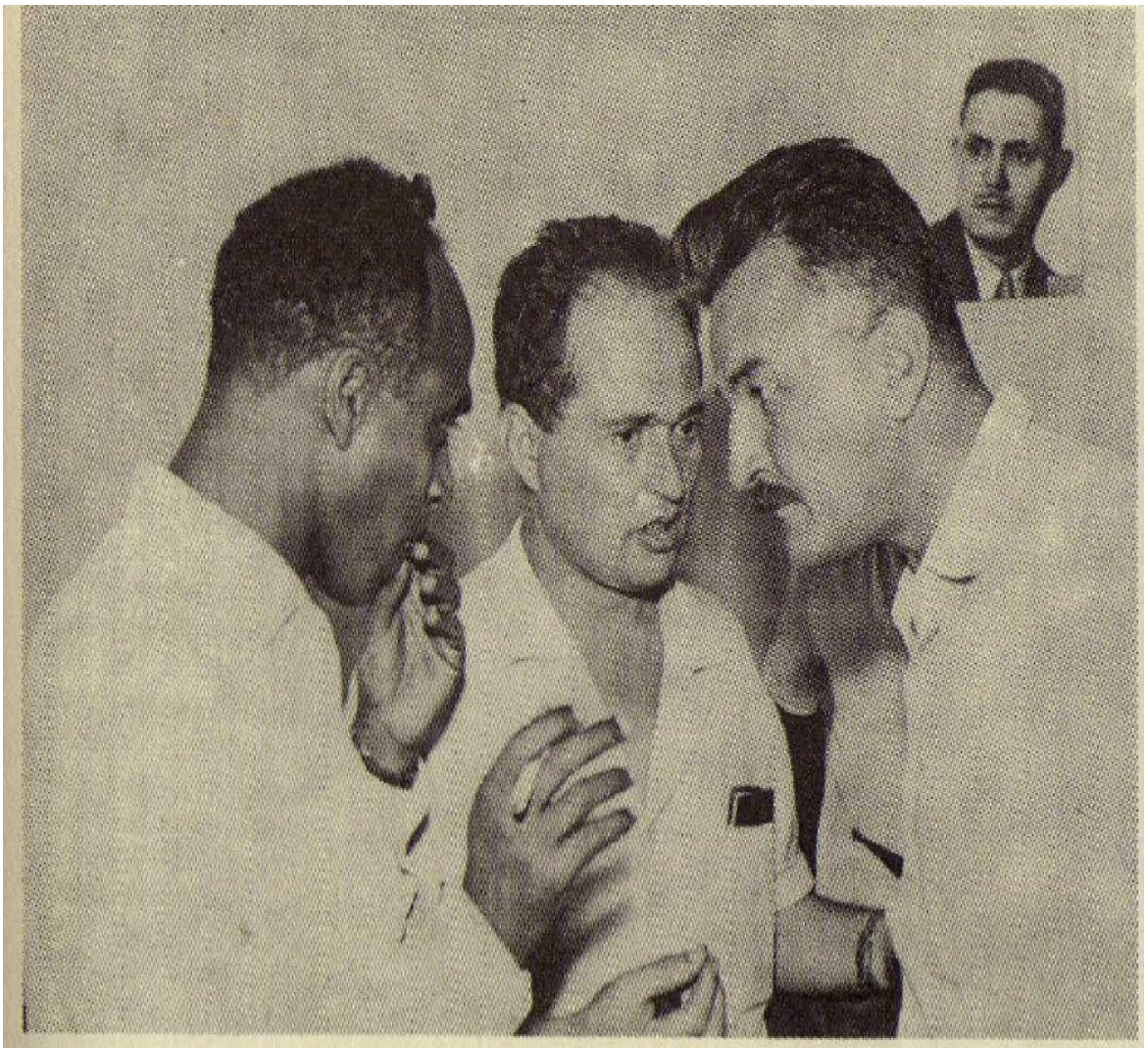

Fanon à Tunis, avec (au centre) Omar Oussedik, son ami, responsable FLN de la première heure.

6

[6] Ibid. P.157

الملحق رقم (08)

Avec des combattants de l'ALN (Armée de libération nationale), à la frontière marocaine.

7

[7] Ibid.p.157

الملحق رقم (09)

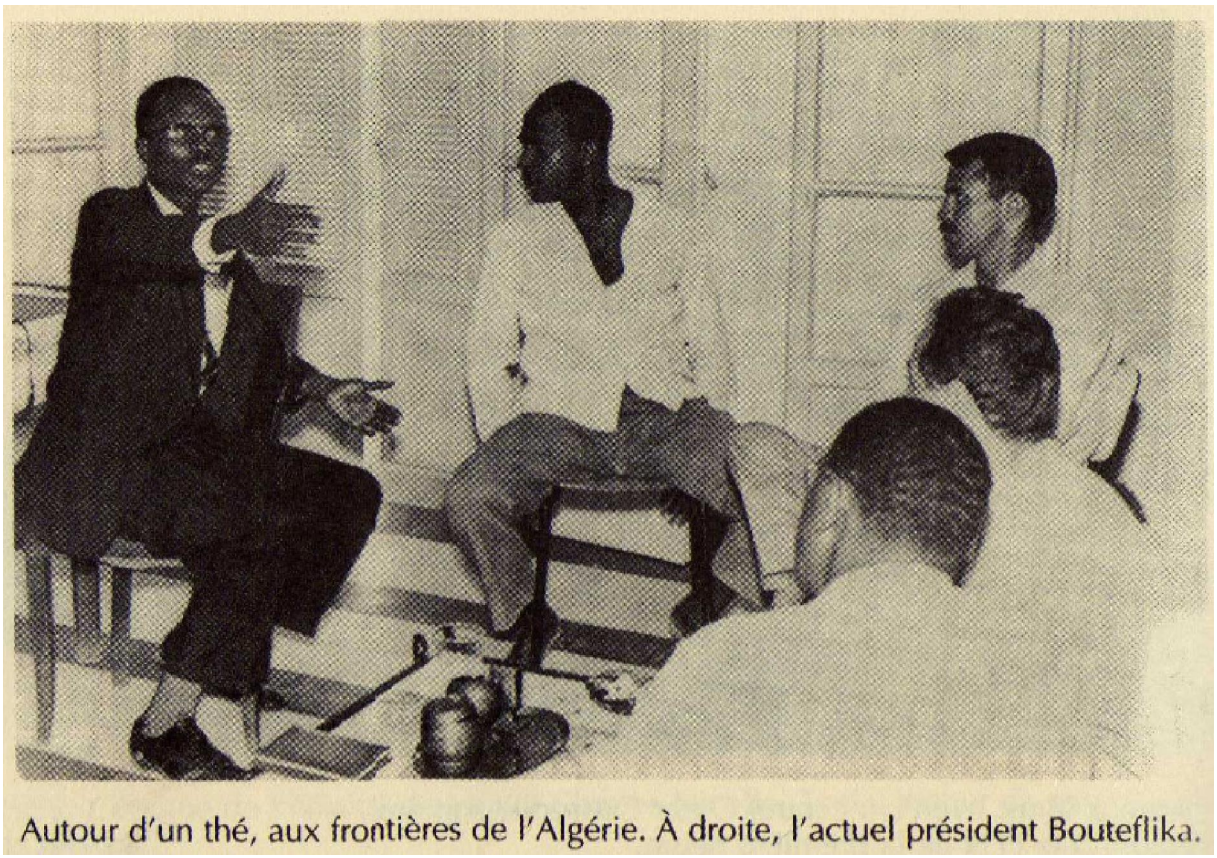

Autour d'un thé, aux frontières de l'Algérie. À droite, l'actuel président Bouteflika.

8

[8] Ibid.p158

الملحق رقم (10)

Première conférence d'Accra, envisageant la création d'États-Unis d'Afrique à l'initiative du président du Ghana N'Krumah.

9

[9] Ibid. P.158

ملحق رقم(11)

من اليسار الداليمين : القائد عثمان ،فرانز فانون حاج بوعبد الله مصطفى ، القائد ناصر و طايبي العربي

10

من اليسار الى اليمين : الواقفون : موسى ، فانون ، زكريا

الجالسون : العربي بلخضر في أكرا

[10] الكبير ، مرجع سابق ، ص 31 .

الملحق رقم (12)

Conférence de presse à Tunis, 1959.

11

Opsit . Cherki . Alice. p.159 [11]

الملحق رقم (13)

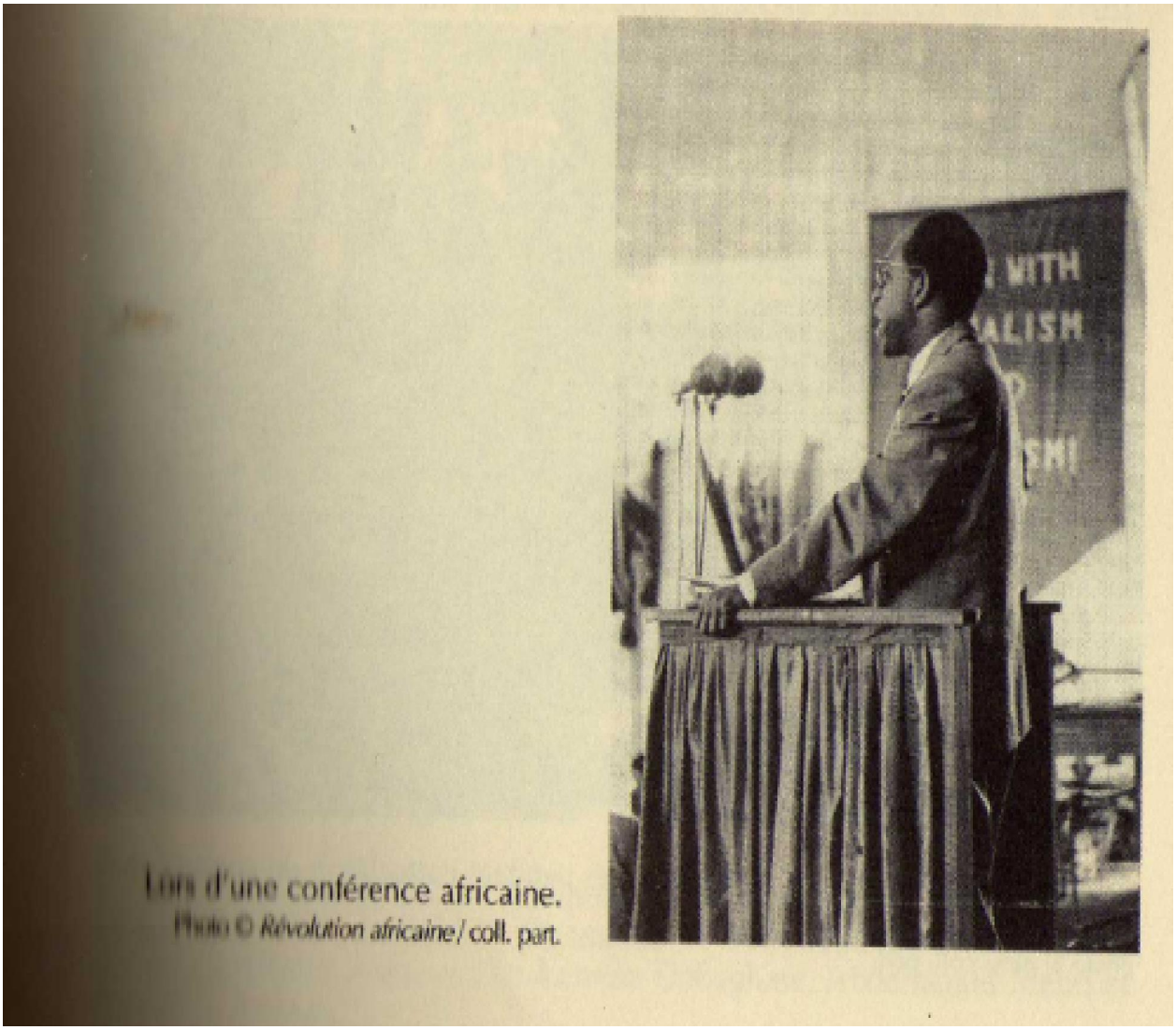

Lors d'une conférence africaine.
Photo © *Révolution africaine*/ coll. part.

12

[12] Ibid.p.159

الملحق رقم (14)

Décembre 1961. L'inhumation de Frantz Fanon en terre algérienne.

13

[13] Ibid. P.160

الملحق رقم (15)

Le cercle des compagnons et des proches pendant l'allocution du commandant Ali Mendjli.

14

14 Ibid. P.160.

الملحق رقم (16)

مسؤوليـــة الفرنسيـــين

انتظر العالم طويلا ان يتحرك الشعب الفرنسي بصورة جدية ليدافع عل الاقل عن نفسه بعد ان لم يتحرك للدفاع عن مثله العليا التي يدوسها من ينتسبون اليه منذ اكثر من سبع سنوات

وتحرك اليوم الشعب الفرنسي بمظاهراته الشعبيه المسالمه ، ولكن ايضا بمعمعاته السرية التي اخذت توزع المناشير عل الشوارع وعل مؤيدي عصابات المتطرفين والتي يعلن فيها انه قرر ان يرد عل الارهاب بالارهاب وعل الرصاص والديناميت بمثلهما

فهل آمن الشعب الفرنسي اليوم ، وهل لم يعد له اى شك في ان حياته الديموقراطية اصبحت مرتبطة بحياة اخرية في الجزائر

ان حكومة باريس قد نشرت من ناحيتها قوانين جديدة لمحاربه عصابات الارهاب المادية للسلم في الجزائر

ولكن تحرك الشعب الفرنسي بالمظاهرات وبمئات المنشورات التحذير دليل عل ان الشعب الفرنسي ينظر الى قوانين حكومته نظرة شك واحتراز ويعتمد بالخصوص عل نفسه في الدفاع عن نفسه ، ومما يزيده شكا في قوانين حكومته انه يرى عصابات الارهاب الفاشيين يمضون في عملياتهم الاجرامية في الجزائر بنفس الجنون والتكالب

ثم في امكاننا نحن ان نتساءل : هل ان القوانين التي اصدرتها حكومة باريس في لمحاربه الارهابيين في فرنسا وحدها ام في الجزائر ايضا وبالخصوص ؟

والجواب من ناحيتنا ليس نفيا ولا ايجابا يتعلقان بحكومة باريس ، وانما يتعلق بنا نحن وحدنا

اننا لا نستطيع ـ كنوربن ـ ان ننتظر من حكومة باريس او نطلب منها ان تحمينا من الجهاز التخريبي الذي وضعته بيديها لكي يحكم بلادنا عند ما كانت حكومة باريس تظن ان الاجرام لن يعبر البحر ، وعند ما كانت تعمل عل ان تكون « الجزائر فرنسية » في الاستقلال والحرب والتقتيل دون ان تصبح « فرنسا جزائرية » في الاجرام والمؤامرات والتمرد .

اننا نعتمد عل انفسنا لنحمي انفسنا .

لقد حنرت الحكومه الموسمه للجمهوريه الجزائريه الورديس جزائر ي عصبيه الشعب الجزائري ، وحمت حمود باريس مسؤوليه ما يرتكب ضد مواطنيها من عنف ووحشي

فاذا كانت قوانين باريس التي اصدرتها لمحاربة عصاباتها الارهابيه سببي حبرا عل ورق ، واذا كان تحرك الشعب الفرنسي هو للدفاع عن داخل بيته دون ان يهتم بحريس الزاحف من الجزائر ، فان تحذيرنا حكومه باريس لن تزيده الايام الا حميه وخطوره

اننا ننتظر شيئا واحدا من شعب فرنسا ، وهو ان يدرك ـ ويبرهن عمليا عل ادراكه ـ عل ان اعداء السلم الذين يضرون اجرام انما يعملون ذلك للقضاء عل المفاوضات او تاخيرها مرة اخرى ، لانهم يدرون ان تاخير المفاوضات وتاخير ساعة السلم هو الطريق الوحيد الذي يمكنهم من تحقيق هدفهم البعيد وهو الامساك بخناق فرنسا

والمنطق يقتضي ان يفهم الشعب الفرنسي ـ ومسؤولوه السعيدون والرسميون عل السواء ـ ان السلم في الجزائر هو الحاجز الوحيد الذي يقطعون به طريق الفاشيستية الى باريس

ان ميدان المعركة الحقيقي ـ جغرافيا ـ بين الشعب الفرنسي واعدائه الفاشيستيين هو السلم او الحرب في الجزائر ، وهو ـ زمنيا ـ تاخير المفاوضات او التعجيل بها

ان فرنسا اذا لم ترد ان تصبح هي الجزائر ، يجب ان تسرع الى الحل الذي يجعل الجزائر غير فرنسا ؟

« المجاهد »

بقية ص 2

الاقتصادية والسياسية التي تمارسون امتيازاتهم ان عملة اراضي يملكون اجهزه لاعداد اهمية الامتيازات الحقيقية والدائمة التي تمنحها ثورة الجزائر للاوروبيين حتى تحفظ لهم مستقبلهم في جزائر حرة مستقلة تخلصت من الخوف والحيرة ومن الارهاب والفاشية ويجد ان تعدت وكالة الانباء الجزائرية عن وجود اعداء السلم داخل الاجهزة الفرنسية وتا يرهم على السلطة فعها قالت :

يصرح بعض الملاحظين قائلين : ان سلطة فرنسا في مستواها الاعلى تريد سلما تفاوضية لكن هذه السلطات العليا تحتي عجزها عن فرض السلم التفاوضية على المدنيين اختاروا طريق البلاستيك في فرنسا والجزائر وامام هذا العجز يجب على القوى المسؤولة المناضلة للاستعمار ان تجمع صفوفها وتعزز وسائل كفاحها حتى تحطم بوزنها الثقيل المشترك الذين يعارضون استقلال الجزائر والتعاون الضروري الخير بين الشعبين الجزائري والفرنسي

يوم يوم 4 ديسمبر 1961 :
الحقيقة الفرنسية تخفي الحقيقة

ان الاستراتيجية التي تعامل تجاهل العمليات الحربية التي تجري بالجزائر منذ سبع سنوات قد عرفت سابقا وهي النقطة التي تتقاطع فيها مصالح الفاشية والاستعمار الفاشية والاستعمار اللذان يجتهدان في الواقع لاقناع الرأي العام الذي اخرجوه من وعيه بان احرام لواس المرتبط باضطراب الاوروبيين هو المشكل الذي يتحكم في رجوع السلم الى الجزائر .

منذ سبع سنوات والاوروبيون الاستعماريون بالجزائر واجهزة الادارة الفرنسية بها وجيش الاحتلال تكون كلها اداة حرب لفرنسا بالجزائر ـ واذا كانت الوسائل واساليب المنظمات تختلف عند الفرنسيين لكنها في انظر الجزائريين هي واحدهم دائما يقاومون قوة استعمارية فاشية واحدة

المحادثات التونسية الفرنسية
حول اجلاء عن قاعدة بنزرت

تفتتح لاول مرة مفاوضات رسمية بين مبعوثين تونسيين ومبعوثين فرنسيين في روما الغرض منها هو بحث جوهر المشكل . ان تونس التي تتمسك ببدا التحرر الكامل من الاستعمار الفرنسي الذي كشفت حوادث بنزرت عن طابعه العدائي تعتبر مشكلة الجلاء ما تزال دائما مطروحة بالرغم عن الاتفاق الموقعت الذي وقع في شهر جويلية المحرم .

ان الشعب الجزائري سيساند بكل قواه الكفاح العادل الذي يخوضه الشعب التونسي من اجل التحرر من بقايا الاستعمار في القرب

وقت ومما يزيد في قوة تاييدنا لشعب التونسي الشقيق هو ان احتلال قاعدة بنزرت من طرف القوات الاجنبية يشكل خطرا ليس فقط ضد الشعب التونسي بل وكذلك ضد الشعب الجزائري الذي هو في حالة حرب ولد شمالي افريقيا . ان عناد الاستعماريين الفرنسيين

البقية على ص 10

الفقيد الدكتور فانون

المنف للقضاء عل الاستعمار .. فدس المبادئ التي اعتنقها الى درجة ان طبعها في حياته ، ولم يجعلها مجرد نظريات يحلو معها «ون» المنحب، طبقها رغم ما تعرضه له من متاعب كان في عنى عنها كطبيب نفسي ناجح، وكمكافح شاب لامع امامه مستقبل علي بالاضواء والآمال ..

لكن ذلك الشاب الذي انشأته ارض المارتنيك رفض التزييف .. رفض تزييف شخصيته ورفض ان يعيش في جو مزيف .. فانوا له : انك فرنسي لان ارض المارتنيك فرنسية .. لكنه عاش في ليون وشاهد الفارق بين فرنسيين فرنسية الآخرين لم يشاهده في مظهر البشرة المختلف ، ولكنه فيما هو اخطر ، فيما وراء البشرة من نظرات وسلوك عمل ..

هذا الرفض للتزييف ، وهذا الاختيار للطريق الاصعب : طريق الصراحة والنظرة السليمة هو الذي قاده الى الثورة الجزائرية : لانه فهم بحاسيته المرهفة ، وبتفكيره العميق ان ثورة الجزائر ليست حركة وطنية محلية ولكنها حركة تتشر افقيا فتؤيد وتتضامن مع كل ارض يهبها

معركة ضد الاستعمار ومع من سن ترفض الاستعمار وتمتد عموديا فتحارب كل رواسبه المصرية والتغيير الرجعي .. فذلك ارضي فيها من غير تردد .. وخدمها بقلمه وفكره وبساحه الى ان قضى نحبه ، خدمها في «الجيلية» حيث كان مديرا لمستشفى «دواس المقلية» ، يتشغل مع مناضل اجبهه في كل المهام التي تفرضها ضرورة الكفاح عل مناضل اجبهه من امكنه بالجرحى الى حمل السلاح الى ايواء القادة الفارين ، تتقلابهم ، وخدمها محررا في « المقاومة الجزائرية » ثم في « المجاهد » .. وخدمها رئيسا لبعثة الحكومة الجزائرية في غانا حيث وجه مرتما خصب نشاطه الفياض وتعلقه المتحمس بالوحدة الافريقية .. وخدمها بما خلفه في كتابيه : « العام الخاص للثورة الجزائرية » و « ملاعين الارض » ..

ذلك هو الدكتور فانون في ملامحه العامة .. فانون الذي حرره التفكير الافريقي ، وفقدته الثورة .. فانون الذي توفي ولما يكتمل الاربعين عصابا بمرض اعيى علاجه .

ولنا عودة الى فانون بوصفه من حملة مشعل التفكير الثوري

رجل في مظهره هدوء وفي داخله غليان مستمر .

انيق اللباس ، لطيف الحركة، لكنه متواضع عن ايمان : لانه اعتنق الاشتراكية وآمن بها مصيرا افضل لكل الشعوب ، مثلما آمن بالوحدة كاضمن طريق لشعوب افريقيا مرحلة الحساسية، لكنه مؤمن بضرورة

15

[15] مجلة المجاهد : العدد 43 المصادف ل 1961/12/11 ،

الملحق (17)

(المجاهد) 19 - 2 - 1962

١٠ ملايين في الأرض حقول

بقلم الدكتور فانون

الفصل الأول :

وهنا الناس بعض هذا عاديا لأقل عقب محتي . فأي تجمع معين و كل تجمع قمعية تتحداني اعتراضها في شمالي الرجاء (سبتمبر الجزائر) . أن مجازر ماريغين قد مرت أراني العام حيث اسهم عن بعد . واصبحت قارئي رسميا تتداوله الصحافة والاذاعة والاحاديث الخاصة . ومن خلال تاريخها بعث كثير من الرجال والنساء فضيه الجزائر الجزائري في جنوب افريقيا . ولا يمكن رد الاعتصام الجماعي للدول الكبرى بالقضايا الجزائرية للمجلس المتحدة الى الديماغوجية وحدها . فالواقع ان كل حركة تمردية او ثورة محلية في العالم الثالث اصبحت تتدرج في اطار الحرب الباردة . لقد صار ذلك ان يجرب رجالان في سالبيوري حتى يتحركك عشكر باكمله ويتحدث عن هديين الرجلين ويرتبط بساعة قرب بها قضية روديسيا الجنوبية ومجموع القضية الافريقية وقضية كل الشعوب المستعمرة . ويفسر الجنكس الاخر نقط الضعف المحلية في عالمه حسب اتساع الجبهة القائمة ضده . وتدرك الشعوب المستعمرة ان جميع الكتل تهتم بأبسط الحوادث المحلية وهكذا تتوقف الشعوب عن الانغلاق في حدودها المحلية الضيقة ماخوذة بهذا الجو العالمي العاصف المزلزل .

وحين تأتي الاخبار كل ثلاثة اشهر بان الاسطول السادس او السابع قد تحرك الى هذا الشاطئ او ذاك ، او ان خروشوف يهدد باستعمال الصواريخ لانقاذ فيدال كاسترو ، او ان كينيدي يقرر اتخاذ القصى التدابير في قضية لاوس ، فان الرجل المستعمر او المدني الاستقلال يشعر احيانا ان كرة القدم يدفوع بكل قوة في حركة جنونية لا تتوقف بعد . في الواقع قد بدأ يتحرك ويسير . لقد ساعد مثلا حكومات البلدان المستقلة حديثا ان حكامها يقظون لتفلي اوقاتهم في التفلت حولهم واستكشاف الاخطار التي تهددهم ويقظون الثلث الباقي في خدمة وطنهم . وهم في نفس الوقت يعملون عن مواطنين في خارج . وتخدم المعارضة الداخلية لنفس الحق فتنصرف عن الطرق البرلمانية التي تتقرر اليوما باحتقار وتحدث عن حلفاء في الخارج يساندونها في عملها لقلب الحكومة. لقد بدأت وسائل العنف . ان جو العنف الذي تعاشه به الفترة الاستعمارية هو الذي يستمر في فترة الحكم الوطني . ذلك ان العالم الثالث ليس خارجا عن حلبة الصراع . انه بالعكس في قلب العاصفة، ولهذا نجد قادة الدول المتحدة يحافظون في خطبهم باستمرار على النبرة العدوانية الحديثة التي كان يطرحها الذي يفسر « وقاحة » القادة الجدد . وأنهي الذي لا يلاحظ كثيرا هو ان هؤلاء القادة يتصفون بالادب الجم والمشاعر الرقيقة في اتصالاتهم مع الاخوان والرفاق . ان الوقاحة والادب هي قاعدة السلوك مع الآخرين ، مع الاستعماريين السابقين الذين يأتون للاطلاع على سير الامور والتحقيق في الاحوال السائدة . ويتعبر من كانوا يخطعون سابقا للاستعمار بان نتيجة هذه التحقيقات قد كتبت سلفا . وان تنقل الصحفي ليس سوى تبرير لاحكام مسبقة . وليست الصور التي تزين المقالات سوى دليل على ان هؤلاء الصحفيين يحرفون جيدا عم يتحدثون وانهم ذهبوا الى عين المكان واطلعوا بانفسهم على الاحوال الجارية .

ان التحقيق الصحفي يرمي الى تاكيد الجديد المزعوم وهي « ان كل شيء يسير من سيء الى اسوأ منذ ثم تعيد هناك » . ان الصحفيين كثيرا ما يشكون من سوء استقبالهم ومن تعارف البيئة التي يعتدون فيها ومن الجهم يواجهون جدارا من اللامبالاة او الروح العدائية الواضحة . وكل هذا طبعي . ان الزعماء الوطنيين يعرفون ان الخبر الهام الذي تبيعه الصحافة الغربية . والصحفي الغربي حينما يلقي عينيا سؤالا فانما يكون ذلك ضحكا . ففي حرب الجزائر مثلا سئم يتوقف اكثر الصحفيين الفرنسيين تحررا عن وصف كفاحنا بانه انعزب عدوها وانهاما وحين تعاليهم على ذلك يجيبونا بكل براءة انهم موضوعيون . اما بالنسبة للمستعمر فهو يعتبر هذه الموضوعية موجهة دائما ضده .

ان هذا الجو ايضا هو الذي ينقي خوفا من الوضوح على اثر النهجة الجديدة التي تمارسها الديبلوماسية الدولية في الجمعية العامة للامم المتحدة في سبتمبر ١٩٦٠ . فقد استعمل ممثلو البلدان المتخلفة لهجة شديدة الصف ذات طابع نضالي واضح ، ولكن نعوتهم لم تثر ابدا انهم تجاوزوا الحدود . ان هذا الموقف الجذري الذي وقفه المناضلون الافريقيون في الامم المتحدة قد جعل المثل يتضح ويتم الاصرار على الطابع الظالم وغير المعقول لحق الفيتو واحتكار الدول الكبرى للامم المتحدة وبين بالاخص ان الدور الفضيل الخصص لعالم الثالث لم يعد يتناسب مع الظروف الدولية الجديدة .

ان البلدان المستقلة حديثا قد اكتشفت عهدا جديدا من الديبلوماسية ، ولم تعد هذه الديبلوماسية الجديدة تقوم على الجاملات والزخارف الدبوية ، والكلمات الفارغة لكل تاويل والرموز الموغلة في الغموض والابهام ذلك ان هؤلاء الناطقين قد حملوهم شعوبهم في نفس اللحظة مهمة الدفاع عن وحدتها القومية وتقدم الجماهير نحو الرخاء ، وحق الشعوب في الحرية والخبز . انها اذن ديبلوماسية متحركة ، ماخطة ومتناسبة ، تتعارض تعارضا تاما مع عالم الاستعمار الصخري الجامد . وحين يرفع خروتشوف حذاءه في الامم المتحدة ويضرب به على المائدة فان هذه الحركة لا تثير ضحك اي رجل مستعمر او اي ممثل للبلدان المتخلفة . ذلك ان ما يهينه خروتشوف للبلدان المستعمرة التي ترتفع اليه باجعارها هو انه هو هذا الفلاح الروسي الذي اصبح يمتلك الهواريخ يعامل هؤلاء الراسماليين الخبيرين بما يستحقونه . وكذلك حين يجلس كاسترو في الامم المتحدة بزي الثوار ، فهو لا يثير اي استغراب لدى الشعوب المتخلفة . ان كاسترو يكشف بهذا الموقف انه واع كل الوعي للتطابع المستمر للعنف . بل القريب في الامر ان كاسترو لم يدخل الامم برشاشته . ولكن رغما عنوه من ذلك .

ان الثورات والاعمال اليائسة والجماعات المسلحة بالخناجير والفؤوس تجد شخصيتها الوطنية المتلقة وسط الصراع الحاد العنيف القائم بين الراسمالية والاشتراكية .

كان في الماضي يمكن ان يمر تقتيل ٤٥ الف جزائري في سطيف في مايو ١٩٤٥ دون ان يلاحظه احد . وان يسقط ٦٠ الف قتيل في مدغشقر في سنة ١٩٤٧ فلا يستحقون سوى سطور قليلة في بعض الصحف . وكانت ٢٠٠ الف ضحية للقمع في كينيا في سنة ١٩٥٢ تلقى لا مبالاة تسيء . ذلك ان الثقافات الدولية لم تكن قد بلغت بعد الحد الكافي . وجاءت حرب كوريا وحرب الهند الصينية لتدخل في فترة جديدة . غير ان بورداييت والسويس هي التي تشكل اللحظات الحاسة في هذا الصراع .

لقد اصبحت الشعوب المستعمرة القوية بالمساندة المتلقة التي تمنحها لها الجماهير الاشتراكية تدفع بالاساليب الثقيلة التي تمتلكها مهاجمة قلاع الاستعمار الحصينة . واذا كانت هذه القلاع لا تتاثر باحتاجير والايدي العارية فانها لا تصبح كذلك حين يوخذ بعين الاعتبار الوضع الدولي للحرب الباردة .

وفي هذا الوضع الجديد يالحة الامر يكون ماحه . فقد دورهم فضاله وحارس نراسماية العالمية . انهم في الرحمة الاولى يستحسون بالحرف الاوربية أن تدوم بدعمهم للاستعمار بالحرف الاوربية . وفي الرحلة الثانية لا يترددون في اعلان اختيارهم ثم تاييدهم ابدا افريقيا للافريقيين . واوربات المتحدة لا تحتاج اليوم ان تعلن رسميا انها المدافعة عن حق الشعوب في تقرير مصيرها . وليست الرحلة الاخيرة التي قام بها بينين وباياماس في افريقيا الا تجسيدا عمليا لادراك الامريكان بانه لا يمكن اخضاعه بالعام الماضي . وهكذا ندرك اذا لم يعد ضعف الرجل المستعمر مملا يائسا الا اذا قورن مقارنة مجردة بالعتاد العسكري الاستعماري . وبالعكس اذا وضعناه في اطار الوضع الدولي المتحرك يصبح جليا انه يشكل تهديدا رهيبا للاستعمار . ان استمرار الاضطرابات المحلية التي يثيرها الناومام يحطم التوازن الاقتصادي للمستعمرة ولكنه لا يهدد الدولة الاستعمارية . فالمهم في نظر الاستعمار هو تخلل الدعاية الاشتراكية في صفوف الجماهير وانتشار عدواها المخطيرة . ان هذا يشكل بعد اخطر تهديد في الفترة الباردة للصراع فكيف يكون امر هذه المستعمرة المتعبة بحرب الحصابات في حالة الحرب الساخنة ؟

وهكذا تدرك الراسمالية ان استراتيجيتها العسكرية تخسر كل شيء بتطور واشتار الحروب الوطنية . ولهذا يفرض التعايش السلمي زوال كل المستعمرات ويودي حين يبلغ هذه الاقصى التي احترام النظام الراسمالي للحياد الدولي. ذلك انما يجب تفاديه قبل كل شيء هو تفتح الجماهير للدعاية الحادية واثارة الحقد والكراهية لدى عشرات الملايين من البشر . ان الشعوب المستعمرة تدرك جيدا هذه المتطلبات الجديدة التي تتحكم في الحياة السياسية الدولية . ولهذا نجد حتى الذين يعارضون العنف يعملون دائما ويتخذون قراراتهم على اساس هذا العنف العالمي

والوهم نجد التعايش السلمي بين المعسكرين يثير العنف ويغذيه في البلدان المستعمرة . وغدا ربما نرى هذا العنف ينتقل الى ميدان اخر بعد تحرر البلدان المستعمرة . فقد تطرح حينئذ قضية الاقليات مثلا . وقد بدا بعضها بعد ، يفكر في اتباع وسائل العنف لحل مشاكلهم وليس من محض الصدفة ان نرى بعض المتطرفين من الزنوج في الولايات المتحدة يكونون العصابات ويجمعون الاسلحة وليس من محض الصدفة ايضا ان نجد في العالم الذي يقال له العالم الحر لجانا للدفاع عن الاقلية اليهودية في الاتحاد السوفياتي ونرى الجنرال دي غول يذرف الدموع على المسلمين المضطهدين تحت نير الدكتاتورية الشيوعية

ان الراسمالية والاستعمار يقتنعان بان الكفاح قد انتصر وحركات التحرر الوطني ليست سوى اضطرابات مسيرة ومثارة من « الخارج » . ولهذا يفسر الاستعمار اتباع هذا التكتيك الفعال ويمنح اذاعة فرونسا الحرة وجلة مساندة الاقليات المضطهدة الخ.. ان الاستعمار يمارس سياسة محاربة الاستعمار مثلما يفعل الكولونياليات الفرنسيون الذين يقومون « بالحرب النورية » في الجزائر و « المكاتب الثنية » انهم « يتضلون الشعب ضد الشعب » ونحن نعرف جيدا نتائج هذه الاعمال .

ان هذا الجو المشحون بالعنف والتهديد و هذه الصواريخ التي يلوحون بها ، لا ترهب الشعوب المستعمرة ولا تجعلها تحيد عن طريقها . وقد رأينا كيف ان كل حوادث التاريخ الحديث لهذه الشعوب توصلها لفهم هذا الموقف ، فهناك نوع من التوافق والتواطؤ والانسجام بين العنف الاستعماري وهذا العنف السلمي الذي غرق فيه العالم الحديث . وقد تكيفت الشعوب المستعمرة مع هذا الجو . فهي في هذه الحرة متجاوبة مع عصرها . وكثيرا ما يدهش البعض حين يرون الرجل المستعمر يفضل شراء جهاز تراسيستور على شراء فستان لزوجته . والواقع ان هذا شيء لا يثير الدهشة . فالشعوب المستعمرة تدرك ان مصيرها يتقرر الان . انها تحيش في جو من نهاية العالم وتعتبر انه لا يجوز ان يفوتها شيء . ولهذا فهي تدرك جيدا الفرق الحقيقي بين فرنسا وتونس ، وتونسيا وتشومبي، ويومي واعيدجو وكينياتا والذين يرمي بهم الاستعمار بين وقت واخر ليحلوا محله . انها تفهم جيدا هؤلاء الرجال لانها تعرف التونسي الذي تتقفي وراءهم . ان الانسان المستعمر والانسان المتخلف هو الان حيوان سياسي بكل معنى الكلمة .

مفزى الحياد :

حقا ان الاستقلال قد قدم للشعوب المستعمرة تعويضا معنويا ورد لها كرامتها . ولكنها لم تجد بعد الوقت الكافي لبناء مجتمعها وتاكيد قيمها ومثلها العليا . ان الهوة الفتية التي ينمو فيها الجوائض والانسان ويزدهر وتنمو افاق شخصيته كل يوم اكبر فاكبر لم توجد بعد بالنسبة للجميع في مكان اخر ولي وقت واحد اما القادة فانهم ازاء هذا الوضع المعقد يترددون ويختارون الحياد .

هناك شيء كثير يمكن ان يقال عن الحياد فالبعض (يمزجونه) بهدف الانتهازية اجتنة المدنية التي تتمثل في الاحمد من البيين والشمال . ولكن الحياد هذا المخلوق الجديد الذي ولدته الحرب الباردة ، اذا كان يمكن البلدان المتخلفة من نيل المساعدة الاقتصادية من الطرفين ، فانه في الواقع لا يمكن احد هذين الطرفين من تقديم المساعدة الضرورية الكافية للبلدان المتخلفة . ان هذه المبالغ الاسطورية الهائلة التي تبدد في البحوث العسكرية وهؤلاء المهندسين الذين حولوا الى خبراء للحرب النووية يستفيدون في ٩٥ عاما ان يرفعوا مستوى المعيشة في البلدان المتخلفة بنسبة 60 في المائة. وهكذا نرى ان مصلحة البلدان المتخلفة لا تكمن في استمرار او زيادة حدة الحرب الباردة .ولكن الذي حدث انه لم يطلب رايها في ذلك . ولهذا فهي لا تتحار لاحد اجابين اذا وجدت امكانية الاختيار ولكن هل تستطيع ان تختار فعلا ؟ ان فرنسا مثلا تحرب فاتيقيا الدرية في افريقيا . واذا استثنينا الاحتجاجات والاجتماعات وقطع العلاقات الديبلوماسية بشكل مسرحي صاحب فاننا لا نستطيع ان نقول بان الشعوب الافريقية كان لها وزن كبير في هذا الميدان الخاص .

ان المواطن في العالم الثالث يستد من الحياد حالة فكرية تتمكس على الحياة الجارية

العنف - ٤ -

في مواقف تتدهب باعد حدود الجزاء والاعتزاز وتنطد طابع التحدي السافر . فهذا الرفض البات لمحمول الوسطى ، وهذه الارادة الوطيدة في عدم الارتباط ، تذكر بمواقف ابراهيم التخوفين المحرومين من كل شيء والمستعدين دائما ان يضحوا بارواحهم من اجل كلمة . وكل هذا يجسد ويبعث الفلاحين الجزائريين . ذلك ان هناك فجوة حقيقية تفصل في العمق بين ما يدعيه هؤلاء الناس لانفسهم وما هم عليه في الواقع ان هذه البلاد التي يس لديها ترام ولا جيش ولا مال لا تبرز هذه الجراة المتحدية التي يبدونها في وضع النهار . ان هذا من غير شك نوع من التعصب والاحتيال .

ان هذا العالم الثالث يبدو عليه غالبا انه يتهيأ بالمناسبة وانه في حاجة الى حقبة اسبوعية من الازمات . وزعماء هذه البلدان الفقيرة المتقرة حين يرفعون اصواتهم يقررون حق الاخرين الذين يتضورون جوعا جارفة في امكانهم . ولكنهم يدل امكانهم يتظرسون انهم ويفرقون لهم الزهور ويقدمون لهم الهدايا ويتبادلون معهم اكتافهم وافخاذ لهم من فوقهم . وهذا هو العيد . ان الامية في بلدانهم تبلغ نسبة ٩٨ في المائة . ولكن الكتابة عندهم أصبحت طوطما من الطاء وكدست جبالا من الاوراق . ومع يساقرون كثيرا ان قادة وطلاب البلدان المتخلفة هم الزبائن الذهبية لشركات الطيران .

ويمكن لنقادة الافريقيين والاسيويين ان يتجهوا الى نفس الشهير دروسا في التخطيط الاشتراكي بموسكو وفي فواتحه ومزاياه الاقتصاد الحر في بلدان او في جامعة كونيا والفابيون الانجليزي من جهتهم يرتفون بسرعة هدهة ، فلا يكادون يتولون مناصب قيادية حتى يقرروا انشاء نقابات مستقلة . انهم ليس وراءهم خمسون عاما من الكفاح النقابي في اطار دولة صناعية ولكنهم يعرفون جيدا في فصل الكفاح النقابي عن السياسة خرافة مستحيلة التحقيق . ومع لم يجابهوا جهاز البرجوازي ولم يتورطوا وجها في الصراع الطبقي ولكن ربما لم يكن ذلك ضروريا . وسرى فيما بعد ان هذه الارادة في الفصل والتمييز العلمق الذي غالبا ما تتجسد في نظرة كلية مطلقة هي احدى الخصائص الرئيسية للبلدان المتخلفة .

ولكن لنعد الى الصراع الخاص بين المصر والمستعمر . ان الامر كما نرى يتعلق بالكفاح المسلح المريع . والاصلة التاريخية هي الهند الصينية والاندونيسيا والجزيرة العربي . ولكن الذي يجب ان لا ننساه او نقلل منه هو ان هذا الكفاح المسلح كان يمكن ان ينفجر في اي مكان اخر . في ليبيا او في الصومال وانه اليوم ما زال من الممكن ان ينفجر في اي مكان ينشبث فيه الاستعمار بابقاء كما هو الحال في انغولا مثلا

ان اصلاح الكفاح المسلح يعني ان الشعب قد قرر ان لا يقى الا في وسائل العنف . هذا الشعب الذي لم يفدا الاستعماريون يقولون عنه انه لا يفهم غير لغة القوة . والواقع ان المصر كان دائما يبين له بطريق السافي يجب ان يسلكه اذا اراد ان يتحرر . فالرجل المستعمر لم يفعل سوى ان اختار الحجة التي كان المصر يبينها له وبلغة عليها باستمرار . وهكذا تتقلب الامور بتوع من سخرية الاقدار ويصبح الانسان المستعمر هو المكره يقول ان الاستعمار لا يفهم غير لغة القوة . ان الاستعمار يستمد وجوده وشرعيته من القوة ولا يحاول في اية لحظة ان يخفي طبيعته او ينكر الاساس الذي يقوم عليه . وليس من معنى لكل التماثيل الاستعمارية المقامة في اهم الساحات ، تماثيل لبيريه او ليوتي او بجو او الرجنان بالاذهان غير تاكيد معنى القوة . ان كل هؤلاء الفاتحين المتقصين فوق الارض المستعمرة لا يترفقون عن تاكيد شيء واحد هو « نحن هنا بفوة الحراب ... » وبغية الجملة يمكن ادراكها بكل سهولة . وفي فترة الكفاح الثوري يفكر كل مستعمر على اساس عمليات عسكرية محدودة . وتحدد المطلق ان يتخذ الحياد الضرورية من البيض ان يتحولوا الى الاهلية » يتعلمون لغة البلد ويتزوجون من البلدان ... ولكن هذا لا يمنع ان الاستعمار يستمد وجوده وشرعيته من القوة ولا يحاول في اية لحظة ان يخفي طبيعته او ينكر الاساس الذي يقوم عليه . وليس من معنى لكل التماثيل الاستعمارية المقامة في اهم الساحات ، تماثيل لبيريه او ليوتي او بجو او الرجنان بالاذهان غير تاكيد معنى القوة . ان كل هؤلاء الفاتحين المتقصين فوق الارض المستعمرة لا يترفقون عن تاكيد شيء واحد هو « نحن هنا بفوة الحراب ... » وبغية الجملة يمكن ادراكها بكل سهولة . وفي فترة الكفاح الثوري يفكر كل مستعمر على اساس عمليات عسكرية محدودة . وتحدد المطلق ان يتخذ الحياد الضرورية من البيض ان يتحولوا الى الاهلية » يتعلمون لغة البلد ويتزوجون من البلدان ... ولكن هذا لا يمنع ان الاستعمار يستمد وجوده وشرعيته من القوة ولا يحاول في اية لحظة ان يخفي طبيعته او ينكر الاساس الذي يقوم عليه . وليس من معنى لكل التماثيل الاستعمارية المقامة في اهم الساحات ، تماثيل لبيريه او ليوتي او بجو او الرجنان بالاذهان غير تاكيد معنى القوة . ان كل هؤلاء الفاتحين المتقصين فوق الارض المستعمرة لا يترفقون عن تاكيد شيء واحد هو « نحن هنا بفوة الحراب ... » وبغية الجملة يمكن ادراكها بكل سهولة . وفي فترة الكفاح الثوري يفكر كل مستعمر على

حلقة جديدة
في المعركة بين كوبا وامريكا

فاعلن في شهر اوت الماضي تاميم كثير من الشركات الامريكية ومن بينها شركات تكرير السكر . وزادت امريكا في تحقيق حصارها الاقتصادي فراد كاسترو خطوة اخرى الامام . واعلن في شهر اكتوبر من نفس العام تاميم البنوك وشركات النبح وبقية الشركات الامريكية التي لم تؤمم من قبل . ويهدف الخطوة اصبح الطابع العام لاضافة الكوبية هو الطابع الاشتراكي . ولم يبق امام امريكا سوى محاولة قلب نظام الحكم في كوبا وهذا ما حاولته مرات عديدة ولم تنجح فيه . وهذه هي الخطوة التالية وهي تدبير عدوان مسلح في شهر افريل من عام ١٩٦١ انتهى الفشل الذريع وسمي المعتدون في مدة لم تتجاوز ٧٢ ساعة . وكان رد الفعل في هذه المرة ناطما حاسما فاعلن كاسترو ان كوبا تسير في طريق الاشتراكية وتعادي الاستعمار والرأسمالية بكل قوتها وتقف الى جانب الشعوب التي تحارب كل اشكال الاستعمار والاستغلال واذا كانت كوبا قد اختارت طريقها بالجزائر . وقد كتبت جريدة المجاهد الجزائرية — في عددها الرابع بتاريخ ٢٨-٣-١٩٥٧ عن هذا الموضوع ما يلي :

— هكذا تجيب الحكومة الفرنسية على توصية الامم المتحدة فتنفي الهيئتها الدائمة بالجزائر ان الامم المتحدة تقول كلي دما فيرد لا كوست و تنفي الهيئتها ، وتصبح الامم المتحدة موقف لفائل فيجيب لا كوست — لتسلح المدنيين ، وتعدو الامم المتحدة الطرفين الى الاتصال والتفاوض للاتفاق على حل سلمي ديموقراطي فيقرر لا كوست بانه سلاح الان سيكون كل اوروبي مسلحا وينتظم اطلاق النار على كل من اشتبه فيه . واذا كانت الامم المتحدة ترى انه يجب ان ينتهي القمع الوحشي الذي اخذ شكل الابادة الجماعية فان لا كوست يجيب — لنجعل القمع نظاما معمولا به وننظارد الجزائريين . ومن اجل هذا يعني السلطات المدنية للعسكريين والسلطات العسكرية للمدنيين — لقد اعلنت الدائرة « واصبح الجزائري يقف وسطها اعزل من كل سلاح جائعا يعاود ويضرب ويقتل لانه يشبوه . ان كل فرنسي في الجزائر اصبح اليوم بعد شهر من قرار الامم المتحدة من عليه وواجبه ان يبحث عن المشبوهين الجزائريين ويختلهم اخلاقا ان لم يجدهم « ويكمنهم ويعاودهم في كل مكان !

بعد شهر من قرار الامم المتحدة اصبح كل اوروبي في الجزائر مدعوا الى المشاركة الفعلية في اثير عملية ابادة شاملة مرخصا صدورها احدية على هذا هو اخلال الديموقراطي ان لا كوست يجيب — نعم ، وليبدا اولا بابادة الجزائريين ومن اجل هذا تسلح الاوروبيون وتخرهم يزكون عملهم

لقد استقبلت الصحافة البارسية في مجموعها خبر انشاء هذه المجموعات المسلحة بتحفظ واحتراز وقالت عنها انها ميليشيا فاشيستية — نعم ، ولكن ما هي الفاشيستية على العصابة الانسانية غير الاستعمار داخل البلدان ذات التقاليد الاستعمارية ، ووصفت عمليات التقتيل بانها عمليات ابادة منظمة ولكن ليست اجساد الجزائريين تحصل منذ ١٣٠ عاما جراحا تزداد كل يوم اتساعا وتعددا ومعلا في ويعتذر النائب المسيحي السيد كيني فينيس عن ان يرمدي تكوين الميليشيا الى حفر هوة بين المجموعتين في الجزائر . نعم ولكن ليس النظام الاستعماري غير استعداد منظم لنصب باكمله . ان الثورة الجزائرية هي بالضبط النفي المطلق والمقاومة الثابتة لهذا الاستعباد وهذه الهوة . ان الثورة الجزائرية تتوجه الى الامة الاستعمارية وتقول لها — ازيلوا كلاليكم من جسد الشعب الجزائري المفروح المعذب . دعوا الشعب الجزائري يقول كلمته . »

(يتبع)

[16] المصدر : جريدة المجاهد العدد 08 المصادف ل 1962/01/22 .

الملحق رقم (18)

الكادحون

« هيا بنا يا اخواني ... يجب

هكذا يتحدث فقيدنا العظيم الدكتور فانون الينا ونحن اخوانه

روحه المشرقة وغزارة تجربته الثورية الغذة

لقد كان يعرف منذ ما يزيد عن عام ان المنية تترصده بعد ان القت عليه بذل في نادبتها كل حياته لن تكتمل الا اذا توجها بعمل فكري خالد يجمع وياح. رغم ارهاق المرض يكتب لنا هذه الصفحات المشرقة الرائعة التي

انا بفقدنا اخانا ورفيقنا فانون فقدنا مناضلا كبيرا ومفكرا عظيما

الثروة الفكرية الثمينة التي خلفها لنا والتي ستبقى منارا ساطعا يضيء

لقد وعدت جريدة المجاهد قراءها في العدد الماضي ان تقدم لهم دراسات هو ان نترجم لهم كتابه « الكادحون في الارض » الذي كان له دوى في اضطلعت اسرة « المجاهد » محتفظة لنفسها بحقوق الترجمة والنشر — الثالث حتى تبلغ صوت مفكرها العظيم الى كل ارجاء هذا العالم الثائر الذي

ونبدأ اليوم ترجمة الكتاب بمقدمته التي كتبها الفيلسوف الفرنسي الكبير

ماذا فعلنا بهم حتى نعرف ماذا فعلنا بانفسنا ؟ وهل هذا عليه ؟ نعم لا ! اوروبا مهددة بخطر كبير هو دون وكل ، ستكتشف ايضا ، لعن تعيش في « الوطن الام » وتستكثر عليه النظائم المركبة ، وهذه صحيح ! لستم مصرين ولكنكم لا تساوون اكثر منهم ، انهم اوغاد ، لقد بعتموهم وراء البحار فالموكم ، وقد ليتموهم ذرائا اسالوا كثيرا من الدماء فاستبدتموهم من اطراف المتكم ، ونبذتم الطريقة تتعسب الدولة — ايها دولة كانت — شيئة من المهيئين والمتدربين والجواسيس وتستكثر اعمالهم اذا اكتشفوا ، وانتم ايها المتحررون الانسانيون الذين تدعمون حكم الثقافة فانون يكشف لوقاحة سخاصة المدين ما يزالون منهم شديدي التاثر بالشرب — تضامن ابناء البلاد الاستعمارية مع عملائهم الاستعماريين ، فلتكن لديكم الشجاعة على قراءة هذا الكتاب ، وذلك لسبب بسيط هو انه سيجعلكم تخجلون وان الجيل كما قال ماركس ، هو شعور قوي ، اكثر قرون جدة : انا ايضا لا استطيع ان اتخلص من الوهم الذي ، انا ايضا اقول لكم : « شاهج كل شيء ، ما لم ... » ويوصفي اوروبا صرتي كتاب عدو واجمل منه وسيلة لشفاء اوروبا ، فاستبدوا من الامر

وهذا هو السبب التالي : فلا استهدم الثروة الفاشستية لسوريل فستجدون ان فانون هو اول انسان منذ الجلل الذي نورا ساطعا على المنحدرات التاريخ ، ولا تقلوا ان غمزة الدماء الجارية او جملة المقولة هي التي جعلت له ذوقا خاصا نحو العنف ، انه جعل نفسه مترجما عن موقف واعي لا اكثر ، ولكن هذا يكفيه فيبين بدقة ويكشف بوضوح تام كل عناصر الواقع الذي يطيقه اطيق البيرالي عنكم والذي انتهيا كما انتهيه هو بالقبول

في القرن الماضي كانت البرجوازية تحتقر العمال قولا من الساده الذين اقتدوا صيانهم يفعل جميع ذمي ، ولكنها حاولت تمتني بادخال هؤلاء الاسياد الكبار ضمن توحدا الانساني فلو لم يكونوا يثيرا احرارا لما استطاعوا ان يبنوا قوة تحافم بشكل حر ، وكانت الافكار الانسانية في فرنسا وبريطانيا تدعي نفسها الطابع العالمي

اما مع العمل الاجباري فالامر على العكس تماما فليس هناك فكد وفروق ذلك يصبح التاويب واجبا ويثير القمع والاضطهاد والتروبض ، ان جنودنا وراء البحار يطيقون على النوع الانساني مبدأ التمييز العنصري تاميلين الاكثار العالمية الرائعة في فرنكاهم ، فيا ام كي السان الميزاني عنكم والذي انتهيا كما انتهيه هو بالقيا شيئا شبيه او استبداد او قتله دون جريمة فانهم يتصورون مبدأ ان المستعمر ليس شيئا بالانسان ، وكانت مهمة قوتنا البشرية ان تحول هذه الفكرة المجردة الى واقع ملموس واعطى الامر بان يوضع سكان المستعمرات في مرتبة العروف العليا لتبرير مساهلة المعمر لهم معاملة حيواناته ، ان العنف الاستعماري لا يجد فقط الى منع هؤلاء الرجال المستعبدين من كل حركة احتجاج او معارضة بل هو يسعى الى تجريدهم من انسانيتهم ، وليس هناك شيء يوافق في تنمية قرائهم وامثالل انفسنا مثل القاهم وتعليم فقاتهم دون عطائهم للافكنا مثل انا قتل فيهم الحيوية بوسائط الاذلال المستمر ، ينتهكم الجوع والمرض فاذا قاومونا جاء بشوف ليكمل العمل وتسوسه البنادق الى السلاح ويأتي هؤلاء يتأرون في ارضه ويجبرونه بالسياط ان يلقحوا لهم ، فاذا قاوم مطلق اجتود اثار واصبح هو رجل مينا واذا خضع انحط وقد يصبح العبد الصالح يدرق بحقل الحقوق على حساب عمل ايدي غيره تمامي العملية بكل حماس كما لا يعود تاريخها متخصصين ، فالكتاب الفضية لا يعود تاريخها الا طيوم فقط ، وهذان الامر بالنسبة لقتل الامتاخ ، ومع ذلك ، ويرغم كل الجهود الدنوة

ص 8

(التتمة)

متضامنين ومحررين « ماذا يتهم انا » ، فان طبيعة الفلسفة تتيب عنكم قد ان فانون لا يتصرف شيئا على الاطلاق ، ان كتابه المشتعل بالنسبة للاخرين يبقى بمارا دامكم ، انه يتحدث عنكم كثيرا ولكنه لا يتحدث اليكم ابدا

لقد انتهى عهد جوائز غونكور للسود وجوائز نوبل للصفر ، ان زمن المستعمرين سيانتهي المجازين لن يعود ابدا »

ان هذا سابقا « من ذوي اللغة الفرنسية » يوجه هذه اللغة تساؤلات جديدة وهو يستعملها ويتوجه بها للمستعمرين فقط : « يا ابناء البلدان المتخلفة ، اتحدوا ، يا للاخطاط ، بالنسبة لابناء امتنا المغاربيين الوحيدين ، اما الابناء فلم يصوغوا بعد بلوغنا حتى كمجرد مغاربيين اكفاء ، انا فقط مواضيع حديثهم ، نعم ان فانون يذكر عابرا جرائمنا الكبيرة : سطيف ، ماتوري ، مدغشقر ولكنه لا يشيع وقتا لادانتها ، انه يستعملها ، وهو حين يفصل خطاباته الاستعمار وعلاقات المتعة التي تجمع في وحدة وتناقض بين المستعمرين ومواطنيهم المستخرجين في « الوطن الام » ، فانه يفعل ذلك من اجل اخوانه ، انه يبين لهم كيف يحطون الاجنبة ، وباختصار فان العالم الثالث يكتشف نفسه ويحدث بواسطة هذه العنوان ، ومن المروف ان هذا العالم ليس في خط مستقيم وانا نجد فيه حتى الان شعوبا مستعبدة واخرى تالت استقلالا زائفا وغيرى تكافح لنيل سيادتها واخيرا هناك شعوب نالت حريتها الكاملة ولكنها تعيش تحت خطر الدمار المتدوان الاستعماري ، وكل هذه الاختلافات منشات عن التاريخ الاستعماري هي من الاضطهاد ، فهنا اتحدت الدولة الاستعمارية بشراء بعض الاقطاعيين ، وهناك صنعت صنعا ملفقا برجوازية من الاصالي المستعمرين وهنالك قامت بضربة مزدوجة فجعلت المستعمرة في نفس الوقت للاستقلال وللاستيطان

وهكذا فاعادت اوروبا الانقسامات والاختلافات وخلقت طبقات او عنصريات في بعض الاحيان وحاولت بكل الوسائل والطرق ان تزيد في تقسيم المجتمعات المستعمرة

« اذا استبعدتم ثرثرة سوريل الفاشيستية، فستجدون ان فانون هو منذ انجلز اول من القى ضوءا ساطعا على اكبر عامل في دفع التاريخ الى الامام وهو العنف »

(جون بول سارتر)

ان فانون لا يخفي شيئا فالانكشاح ضدنا يجب على المستعمرة السابقة ان تتاهم ضد نفسها او بالاصح فالمتحامان هما كفاح واحد ، وفي اثر الكفاح يجب ان تتصور كل الجواجز الداخلية ، ويجب على البرجوازية المدن التصديرية ، يجب على هؤلاء جميعا ان يذهبوا الى الوقف الذي تتخذه جماهير الفلاحين الذين يختبرون الرصيد الحقيقي للجيش الوطني الثوري ، ففي مناطق الريف التي تعمد الاستعمار وقف تطورها سريعا ما يتقهر الفلاحون حين يثورون ويوصفهم الطبقة الجذرية ، الطبقة التي تعرف الاضطهاد في شكله العادي وتعاني منه اكثر من الكل ، ولكي لا تبدو جرءا فليس هناك ميتافيزيقي تشكل النظم المتخلفة ان الثورة الوطنية اذا انتصرت لاتكون سوى اشتراكية واذا توقف تطلقها فان برجوازية المستعمرة ستتولى على الحكم وتبقى الدولة وبالسيادة الشكلية بين ايدي الاستعماريين ، وهذا ما يلبسه جيدا مثل تمامنا

الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر

وهكذا فان وحدة العالم الثالث لم تتم بعد ، انها عملية جارية تمر بالوحدة في كل بلد بعد الاستقلال مثلما كان الامر قبله بين كل المستعمرين تحت قيادة طبقة الفلاحين ، وهذا ما يفسره فانون لاخوانه في افريقيا وامريكا اللاتينية فانه يعرف ان لتطلق جميعا وفي كل مكان الاشتراكية الثورية وهذا من اجل واحد بعد الاخر فلماذا

الباقون ، وهو لا يخفي ولا يستر شيئا لا تواضح الاهداف ولا الاختلافات ولا التعارات المقبلة ، انها تاخذ بالحركة التي انها خاضتا وهناك يعد التصارعات

اما

فانون حين يقول ان اوروبا تسيرواني تهاويها فهي ابعد ما يكون عن اطلاق رصاصة الرحمة ، انه بالعكس يشرح تشريحا وتحليلا كيا ، ان هذه الشهب لا يدعي انه يحكم عليها حكما باتا — فقد رايتها بعض الشهرات — ولا يزعم امتلاكها وسائل العلاج فالشرح متعمد مثل تعرضي الموضي التي تستطاع جميعا ، اما من ملاجها فلا ، ان له حيوما اخرى في راسه فلتحدث هي او فلتحدث فالامر لا يهمه ، ولهذا السبب فان كتابه يتسبب بالنهاية والمستحيل الاوروبيون